MAG-LIL.3_of/02

كلية الآداب و العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية
قسم اللغة العربية

مشروع رسالة لنيل شهادة الماجستير في البلاغة و الأسلوبية
الموسومة

سجل تحت رقم 1333/
بتاريخ 11.11.2008
الرقم

الصورة البيانية في الأمثال العربية
مجمع الأمثال للميداني
أنموذجا

إعداد الطالب
بوجمعة بومدين

تحت إشراف
الأستاذ الدكتور عبد اللطيف شريفي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1428 /1429 هـ - 2008/2007 م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

قيل :"ليس في الدنيا فرحٌ يعدل فرحَ الأمّ
عندما يحالف ابنَها التوفيقُ"

- إلى روح **أمّي** الطاهرة .
- إلى **والدي** العزيز .
- إلى كلّ إنسان يمثّل شاطئ أمن و أمان لكلّ الزّوارق التّائهة حينما تأوي إليه

أهدي هذا العمل .

كلمة شكر و تقدير

كلمات الشكر لا تستطيع أن تحمل على عاتقها ما يختلج في نفس صاحبها حينما يريد الاعتراف بالجميل لكلّ من شارك في رحلة البحث هذه ماديا أو معنويا . فنتجهّ إكبار و تقدير للأستاذ المشرف أ . د **عبد اللطيف شريفي** الذي أتقدّم إليه بالشكر الجزيل ، ولقد و جدته نعم المعين و المشجّع و الموجّه و هو الذي لم يدخر جهدا في تتبّع مراحل هذا البحث بالقراءة النقدية البنّاءة مضحيا في ذلك ببعض وقته و جهده ، وإليه يرجع الفضل في اكتمال صورة هذا البحث ، فجزاه الله عنّي خيرا على تعبه المضني .

و أتوجّه بالتقدير الصادق **لأعضاء لجنة المناقشة** ، لتفضّلها بمراجعة هذه الدّراسة استدراكا لنقصها ، و إسهاما في تكميل فائدتها . فلهم جميعا عميق الاحترام و الشكر .

مقـــدمـــة

الحمد لله ربّ العالمين و الصلاة و السلام على سيدنا ونبينا محمد بن عبد الله، و على آله و أصحابه أجمعين .

و بعد:

لقد حظي كلّ من القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف و الشعر العربي قديمه و حديثه باهتمامات البلاغيين الذين تتبعوا بالدراسة والتحليل أهمّ الوقفات الفنية و الجمالية ، بغية تحديد القراءة و المفاهيم للنص القرآني والنص الأدبي عبر مختلف العصور. في حين بقي موروث عربي عظيم قريب من الناس، بـــل يمثّـــل لسانهم، و ينقل آلامهم و آمالهم بطريقة فنية مُزَيّنة بألوان البيان و البديع بعيـــدا عن الدرس البلاغي، و لم يحظ بفرصة البحث في هذا الميدان، إنّه الأمثال العربية.

إنّ الاهتمام بهذا التراث و دراسته دراسة بلاغية، يمثل وقفة فنية جمالية، إلى جانب قيمته الفكرية التي تصور إلى حدّ بعيد عقليـــات النـــاس و أخلاقهـــم، و بيئاتهم الطبيعية و الاجتماعية ،فهي بمثابة مرآة تعكس صورا ناصعة لحياة أمّـــة من الأمم و يصلح تداولها و الاستفادة منها في كلّ زمان ومكان .

و الذي يساعد على إيصال هذه القيمة الفكرية، الإلمام بلغة المثل و صوره البيانية من تشبيه و استعارة و كناية و مجاز عقلي و مرسل،و محسناته البديعيـــة اللفظية و المعنوية.

ولتحقيق فائدة المثل و إدراك قيَمه الفنية و الجمالية، رأيـــت أن أبحـــث في الوجوه البلاغية خاصة البيانية منها للمثل العـــربي، و اســـتنباط حيـــاة العـــرب

و تاريخها و حكمتها و فلسفتها في الحياة منها،و تميط اللّثام عن أسرار جمالها، ويكون العنوان:"الصورة البيانية في الأمثال العربية"مجمع الأمثال" للميداني نموذجا" .

أما عن أسباب اختياري لهذا البحث فيمكن تلخيصها في النّقاط الآتية :

1. تحديد التّجليات الفنية للصورة البيانية في الأمثال العربية .
2. التركيز على الأبعاد السوسيولوجية و النفسية و الدينية و الثقافية التي تؤدّيها الصورة البيانية .
3. الوقوف على أنواع الصور البيانية التي تتزيّن بها الأمثال العربية باعتبارها قيما فنّية و جمالية تُدخلُ الأمثال ضمن الكلِم المصفّى و الذي يعكس بلاغة الإنسان العربي .

أما عن الإشكالية المطروحة فإنّ هذه الدراسة تحاول أن تُجيب على طائفة من الأسئلة و هي كما يلي :

هل الأمثال العربية تمثّل مصدرا بلاغيا يمكن الالتفات إليه و قراءته قراءة جمالية ؟

ما هو الدّور الذي تؤدّيه الصورة البيانية في نقل المعاني ؟

كيف تُرْسَمُ الصورة البيانية في الأمثال العربية ؟ و ما هي مُقَوّماتها ؟

و قد أردتُ ببحثي هذا أن أجعل من الدّراسات القديمة في طريقة التّناول مرتكزا أستند عليه عند الاقتراب من الدراسات الأكاديمية إلاّ أنّه واجهتني بعض الصّعوبات في التّوفيق بين الدّراستين ؛ هذه الأخيرة التي تقلّ فيها المراجع ، كما أنّ الزّاد المعرفي قليل إذا قورن بالدّراسات القديمة و أنّ الإلمام بجميع الأمثال العربية التي يتضمّنها كتاب الميداني و التّطبيق عليها يبقى بعيد المنال خاصّة و أنّه يحتوي آلاف الأمثال ، و أيّ مقياس يمكن تحديده لاختيارها؟

إلى جانب ذلك وجدت أنّ المصادر و المراجع التي تناولت الأمثال العربية من الوجهة البلاغية قليلة بل تكاد تنعدم . و حتى و إن وُجدت فتظهر متناثرة من هنا و هناك .

و لإنجاز رسالتي اعتمدت على منهجين هما :

- ◆ المنهج الوصفي التحليلي و وجدته الأنسب لتتبّع المحطّات الفنّية و الجمالية في المثل العربي ، و وصف الصورة البيانية المراد الوصول إليها .
- ◆ المنهج الوظيفي للتطبيق ، بغية الوصول من وراء ذلك إلى قيَّم فنّية و جمالية يجد فيها قارئ المثل مُتْعَةً .

أما عن الخطّة المتّبعة . فقد شكّلتها من مدخل و أربعة فصول و خاتمة .

فأما المدخل فعرّفت فيه المثل لغة و اصطلاحا ، ثمّ بيّنت أنواعه و بلاغته معتمدا على أقوال العلماء كالمبرّد و ابن سلاّم و أبي حيان التوحيدي و ابن المقفّع و الزّمخشري . و أنهيت المدخل بالوقوف عند بلاغة المثل .

و أما عن الفصل الأول فكان تحت عنوان "صور البيان في المثل العربي" مركّزا على تأكيد علماء البلاغة بأنّ الأمثال العربية تتوافر فيها صور البيان و رسمت له ثلاثة عناصر ."مفهوم الصورة" ، "مفهوم البيان" ، "أهمية الصورة و وظيفتها" .

و اهتمّ الفصل الثاني "بالصورة التشبيهية في المثل العربي" و تعرّضت فيه إلى أهمّ أنواع الصورة التشبيهية المُتَمَثّلة في الأمثال العربية مقدّما تعريفات لها ، متتبّعا هذه الأنواع عبر الأمثال العربية . و رأيت أن أوضّح أهمّ أدوات التشبيه التي تعتمد عليها هذه الأمثال . ثم ختمت هذا الفصل بالوقوف عند بلاغة الصورة التّشبيهية .

أما الفصل الثالث فعنونته كما يلي :" الصورة الاستعارية في المثل العربي" .

وقفت فيه على الصورة الاستعارية ، ثم تطرّقت إلى أهم الأنواع الواردة في الأمثال العربية كالصورة الاستعارية المطلقة و المجرّدة و المرشّحة و التّمثيلية و التناسبية ، و ختمته ببلاغة الصورة الاستعارية .

و في الفصل الرابع تطرّقت إلى "الصورة الكنائية في المثل العربي ، و قبل أن أتتبّع أنواعها رأيت أن أقف عندها ، ثم تقصّيت هذه الأنواع عبر الأمثال العربية بعدما بيّنت معانيها ، فكانت الصورة الكنائية باعتبار الصفة ، و باعتبار الموصوف و النّسبة ، و اللّوازم ، و ختمته ببلاغة الصورة الكنائية .

و للوقوف عند هذه العناصر جميعا استعنت بطائفة من المراجع أهمها :

- البيان و التّبيين ورسائل الجاحظ و الحيوان للجاحظ .
- العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده لابن رشيق المسيلي .
- سر الفصاحة لابن سنان .
- الجمان في تشبيهات القرآن لابن ناقيا .
- المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر لابن الأثير .
- العقد الفريد لابن عبد ربّه .
- تفسير الكشاف للزمخشري .
- مجمع الأمثال للميداني .
- جولة في بلاغة العرب و أدبهم لأبي فاضل ربيعة .
- الاستعارات و الشعر العربي الحديث للحنصالي سعيد .
- الأمثال القرآنية دراسة تحليلية لبكر إسماعيل محمد .
- الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي لسعد محمد الجبار مدحت .
- الصورة الفنية في التراث النّقدي و البلاغي عند العرب لعصفور جابرأحمد .
- عون الجنان في شرح الأمثال في القرآن لأحمد عبد العال الطهطاوي .

- دراسات بلاغية ل عبد الفتاح فيود بسيوني .
- الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية ل قطامش عبد المجيد .
- فرائد اللآل في مجمع الأمثال للطرابلسي إبراهيم بن علي الأحدب .
- الصورة البيانية في شعر عمر أبو ريشة لوجدان عبد الإله الصائغ .

و لا يسعني أن أنهي هذا التقديم قبل أن أشكر الأستاذ الدكتور عبد اللطيف شريفي الذي أفادت منه هذه الدراسة فوائد جليلة ، و قد كان له فضل الإشراف عليها ، و توجيهها هذه الوجهة ،و تسديد خطتها و منـــهجها ، و مناقـــشتها و نقدها ، و جزاه الله عنّي خير الجزاء .

و الحمد للّه الذي بنعمته تتمّ الصّالحات ، و صلّى اللّه و سلّم و بارك على سيّدنا محمّد و آله و صحبه .

بوجمعة بومدين

المدخل

1 ـ المثل لغةً و اصطلاحا :

أ. المثل لغةً:

المثل في اللّغة هو الشّيء الذي يُضرب لشيء مثلا ، و المِثْلُ و المَثَلُ و المثيل الشَّبه ، و جمعه أمثال[1]. و إنّما سُمّيت الأمثال أمثالاً لانتصاب صورها في العقول ؛ لأنّها مشتقّة من المثول الذي هو الانتصاب [2].و قال ابن رشيق :"إنّما سُمّيَ مثلا ؛ لأنّه ماثلٌ لخاطر الإنسان أبدا ، يتأسّى به ، و يَعظ و يأمر و يزجر ، و الماثل : الشّاخص المنتصب ، من قولهم : "طلل ماثل ؛ أي شاخص"[3] . و المثل ، كما يقول ابن السُّكيت (ت 244 هـ) هو "لفظ يخالف المضروب له ، و يوافق معناه معنى ذلك اللّفظ ؛ شبّهوه بالمثال الذي يُعمل عليه غيره"[4] . و تتراوح دلالة المثل اللّغوية بين عدّة معان ؛ فهو بمعنى الصّفة و الصورة كما في قوله تعالى : ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴾ [5]؛ أي صفتها و صورتها[6].

---

[1] ابن منظور"لسان العرب" ج 5 / ط دار المعارف ص 4133 .

[2] أبو الفضل الميداني"مجمع الأمثال" ، قدّم له و علّق عليه : نعيم حسين زرزور ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، 1408 هـ ـ 1988م ، ج1 ص 33 .

[3] ابن رشيق المسيلي "العمدة" تحقيق د عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية بيروت ج 1 ص 280.

[4] مجمع الأمثال :ج 1 ص 33 .

[5] سورة الرعد الآية 35 .

[6] ابن قتيبة " تأويل مشكل القرآن" ، تحقيق السيد أحمد صقر ، عيسى الحلبي ، القاهرة 1373 هـ ص 83 و" لسان العرب "ج 5ص 4133 . و للنحاة قول في الآية ؛ فسيبويه يحملها على الإضمار حيث يقول (فإنّما وضع

و قد خطَّأ المبرّد من قال إنّ مثل الجنّة في الآية بمعنى الصّفة ، و علل ذلك تعليلا نحويا فقال : (التّقدير: فيما يتلى عليكم مثل الجنّة ، ثمّ فيها و فيها . . . لأنّ (مثل) لا و يكون بمعنى الخبر و التّمثيل ، و بمعنى العبرة و الآية [1] .

و المثل السّائر في كلام العرب كثير نظما و شعراً بحكم ميل العرب في أحاديثها إلى الإيجاز و الاختصار و إطلاق الكلام تلميحا و إشارة ؛ فقالوا مثـلٌ شـرود و شارد ؛ أي سائر لا يردّ ، كالجمل الصّعب الشّارد [2] .

ب – المثل اصطلاحا :

أما المثل في الاصطلاح الأدبي هو الفن من الكلام ، الذي يتميز بخـصائص و مقومات ، تجعله جنسا من الأجناس الأدبية قائما بذاتـه ، و قـسيما للـشعر و الخطابة و القصة و المقالة و الرسالة و المقامة .

و من أهمّ خصائصه : أنّه مجهول المؤلّف ، قول موجز ، يحمل الكثير من الأبعاد و القيم الإنسانية .

المثل للحديث الذي بعده ، فذكر أخبارا و أحاديث ، فكأنّه قال : و من القصص مثل الجنّة أو ممّا يُقصُّ عليكم مثل = الجنّة) الكتاب : 1 / 143 . يوضع في موضع صفة ، إنّما يقال : صفة زيد أنّه ظريف ، و أنّه عاقل . و يقال : مَثَل زيد مَثَل فلان . و إنّما المثل مأخوذ من المثال و= الحذو ، و الصفة تحلية و حذو) المقتضب : تحقيق محمّد عبد الخالق عضيمة ، عالم كتب ــ بيروت ، د ط ، د ت ، ج3 ص 225 . و ينظر لسان العرب:ج 5 ص4134 .

[1] ابن منظور" لسان العرب ":ج 5 ص 4133 ــ 4134 .

[2] الميداني "مجمع الأمثال" :ج 1 ص33 . و قد وجدت أنّ كلمة(مثل) ، و ما يلحق بها نحو مثلُهم ، و الأمثال و أمثالهم يتعدّى ورودها في القرآن الكريم ثمانين مرّة . ينظر : هداية الرّحمن لألفاظ و آيات القرآن : إشراف و تنسيق و تدقيق : د . محمد الصالح البنداق ، ط 2 ، منشورات دار الآفاق الجديدة ــ بيروت ، 1401 هـ 1981 م .

و هو خلاصة ما يتوصل إليه المفكر من إعمال فكره في الحوادث و الوقائع ،و سنن الطبيعة ، و السيرة التي تصلح أن تكون قاعدة من قواعد الحياة و تسفر عن العظة ، أو الدرس و التنبيه و الحذر، و السلوك الحسن بين الناس و بين المرء ظاهره و باطنه ثمّ هو زينة يوشّي بها أئمّة الأدب أقوالهم ، و العقلاء أفعالهم .

و المثل حكمة و نصيحة تنصبّ صورته في العقول ، و يتّصل اتّصالا عضويا بحياة النّاس و تجاربهم ، و يمثّل قيّما بنّاءة تنقذ الإنسانَ في لحظات الصّعوبات و الخطر و تمدّه بنفس أطول و بعزاء عظيم . و قد خصّ اللّه العرب بنظر بعيد و بعاطفة إنسانية راقية فتناقلوا بعضهم عن بعض تراثَ الجدود من الأقوال و الأفعال لتكون حياتهم دائما أفضل و أجمل . فمن تلزمه النّصيحة يلزمه العمل ، و معروف عنّا ــ نحن العرب ــ أنّنا مفطورون على الأخلاق الحسنة و الصّفات المحمودة كالكرم و الحلم و مساعدة المحتاج و معنى ذلك أنّ بين أقوالنا و أفعالنا انسجاما تامّا و وفاءً للجماعة .

ألم يقل الشّاعر الحكيم أبو العلاء المعرّي :

و لو أنّي حُبيتُ الخُلْد فردا ... لما أحببت بالخُلد انفرادا

فلا هطلت عليّ و لا بأرضي ... سحائب ليس تنتظم البلادا ؟

و أمثال الميدانيّ ترجع بنا إلى الينابيع الصّافية و تمنحنا الرّجاء في مستقبلنا و تجعل من بعض مشكلاتنا في الحاضر محطّة للعودة إلى الذّات و الارتقاء باستمرار . فالكلام على المثل ليس استغراقا في ماض بقدر ما هو تأمّل في العبقرية العربية المتّسمة بطاقة داخلية حيّة تجعلها قادرة على الحياة . أو ليست الأمثال جزءا حيّا من الذّخيرة الرّوحية الواحدة للأمّة؟

و من يتمعّن في هذه الأمثال يجدها نموذجا في البلاغة و الذّوق و بعضها فيه تجاسر و تجرّؤ، و كثير منها ذو طابع إنساني و روحيّ و تربوي .

و تعود أهمّية الأمثال إلى فطرتها و إلى كونها من طينة الحياة و ليست من ثمرات الصّرف و النّحو و القواميس و هذا الأمر يمنحها زخما عفويّا و دفقا عارما بالحيويّة يأتي من تاريخ الإنسان وجغرافيته وذاكرته و معاناته و أحلامه و أساطيره فيتّخذ تارة طابع الدّقّة و أخرى الصورة السّريعة أو الهادئة أو العنيفة وفقا للحالة المعيشة .

و تتجسّم هذه الصورة غالبا في تشبيه أو استعارة أو كناية موحيّة قد تقترب من الانغلاق أو العناد أحيانا ، لكنّها تشفّ غالبا عن عالم جميل مضيء . و هل يجب أن ننسى الصفة العامّة للأمثال و هي الإيجاز الذي يكتنز فضاء واسعا من المعاني و التّخيّلات و يحفّز على التّأمّل و العمل و الحبّ و الإيمان و العطف و هلمّ جرّا .

إنّ العدد الأكبر من أمثال الميداني يعالج موضوع الانتماء إلى الأقربين و هي بالعشرات . ثمّ الحثّ على الجدّ و مغالبة الذّلّ و المشقّات و الحرص على السّرّ و الصّمت و التشجيع على مزيد من التّجارب و حسن الإصغاء و الحثّ على العمل و الحفاظ على الصّديق و ترك الدّنيا لأنّ السّلامة منها ترك ما فيها و الحثّ على الاقتصاد كما أنّ الاهتمام بالقريب موضوع أساسيّ في أمثال

الميدانيّ ، وهو رمز القوّة و محور اجتماعي ضاغط . و بعد القريب و المال يبدو النّفس الصّوفي بارزا في الأمثال العربية قديمة و مولّدة و قد ترك الإسلام أثرا بارزا في هذا الحقل الأخير . يضاف إلى هذه الموضوعات مواضيع أخرى كعدم العتاب و خصوصا عتاب الأصدقاء ،و التّنبّه للدّهر .

و قد عني علماء البلاغة و اللغة ، منذ زمن مبكر ، بتعريف (المثل) الأدبي و تحديد خصائصه ومقوماته [1].

و يمكننا بعد استقراء هذه التعريفات أن نقول في تعريفه :

"(المثل) قول موجز سائر ، صائب المعنى ، تشبه به حالة حادثة بحالة سالفة" .

و هو محاولة لإخراج الأغمض إلى الأظهر ، عن طريق استخدام عبارة لفظية مسبقة الإعداد ، في حالة شبيهة لتلك الحالة التي كانت سببا في صياغة هذه العبارة و انتشارها على ألسنة الناس و ذيوعها بينهم ، حتّى غدت تلك العبارة (المثل) بمثابة العلم للتشبيه بحال الأول ، و ذلك كقول كعب بن زهير :

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا و ما مواعيدها إلاّ الأباطيل [2]

فمواعيد عرقوب غدت علما – أو مثلا بتعبير أصحّ ــ لكلّ ما يصحّ من المواعيد . أما (ضرب المثل) فيراد به إطلاقه و استعماله في الحالات المتجددة ، التي تشبه الحالة الأولى .

---

[1] "مقدمات (جمهرة الأمثال) لأبي هلال العسكري ، و" مجمع الأمثال" للميداني ، و " المستقصى في الأمثال" للزمخشري ، و " المزهر " للسيوطي ج 1 ص 486 ، و مفردات الراغب (مثل) و" المثل السائر"لابن الأثير ج 1 ص62 و " الفلك الدائر على المثل السائر " لابن أبي الحديد ج 4 ص 53 ، و" كشاف اصطلاحات الفنون"134 .

[2] "مجمع الأمثال" :ج 1 ص 33 .

و (ضرب المثل) قيل : إنّه مأخوذ من الضرب في الأرض ، و هو الإيغـــال فيها ، و الإبعاد في أقاصيها ، و منه سمي المضارب مضاربا [1] . و قيل : إنّه مأخوذ من ضرب الخباء ، و هو نصبه و إقامة عمده ، و إثبات طنبه ، و يكون المعنى على هذا : نصب الأمثال للناس بالشهرة ، لتستدلّ عليها خواطرهم ، كما تـــستدلّ على الشيء المنصوب نواظرهم [2]. وقيل : إنّه مأخوذ من ضرب الموعد ، أي بيانه و تحديده [3]. و قيل: مأخوذ من ضرب الدّراهم و هو صوغها بالمطارق ، و ذلك أنّ ضرب الأمثال يؤثر في النّفوس كما تؤثر المطارق في الدراهم[4].

و قيل: بل مأخوذ من الضّرب و الضّريب ، بمعنى المثل والنّظير ، لأنّه يجعل الأوّل مثل الثاني [5] . و قيل : إنّه من ضرب الخاتم و نحوه ، و هو صنعه ، لأنّ التطبيـــق واقع بين المثل و بين مضربه ، كما في الخاتم على الطابع [6].

و قيل : إنّه ضرب اللّبن ، أي اعتماده و صنعه [7]. أو من ضـــرب الطـــين علـــى الجدار[8].

---

[1] مقدمة (جمهرة الأمثال) و تلخيص البيان للرضي .

[2] الرضى الشريف أبو الحسن" تلخيص البيان في مجازات القرآن" تحقيق محمد عبد الغني حسن مطبعة عيسى الحلبي القاهرة 1955 ص 178 .

[3] مقدمة " مستقصى الأمثال " .

[4] تاج العروس ، و مفردات الراغب (ضرب) .

[5] اللسان و التاج (ضرب) .

[6] التاج (ضرب) و الكشاف 1 /85 .

[7] الزمخشري "الكشاف" ج 1 الحلبي ، القاهرة 1938 ص 85 .

[8] التاج (ضرب) .

و قيل: مأخوذ الضرب بمعنى التثبيت ،كقوله تعـالى : ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ ﴾ [1] أي أثبتت.

و كقول العرب في أمثالهم : " ضرب أخماس لأسداس " و يكون معنى " ضـرب المثل " على هذا وضعه في موضعه ، و إثباته حيث يصلح له .

و قد أحسن الرّاغب الأصفهاني صنعا حينما علّل اختلاف العلماء في معنى" الضرب" تعليلا مقبولا ، و ردّ أسباب هذا الاختلاف إلى طبيعة الشيء المـضروب فقال : الضرب : إيقاع شيء على شيء ، وبتصور اختلاف الضرب خولف بـين تفاسيره [2].

و على أيّة حال فإنّ هذا الخلاف خلاف لفظي ، كما يبدو ، لا يؤثر في المعنى الذي اخترناه لضرب المثل ، و هو التّمثّل به ، و استعماله في الحالات الحادثة التي تشبه الحالة التي أطلق فيها أوّلا .

و يراد ب (مورد المثل) الحالة التي قيل فيها ابتداء ، و يـراد ب (مـضربه) الحالات و المواقف المتجدّدة التي يمكن أن يستعمل فيها المثل ، لما بين الحالتين من التشابه .

---

[1] سورة البقرة الآية 61 .

[2] مفردات الراغب " ضرب " .

2 ـ أنواع المثل :

المثل العربي أنواع و يمكن تقسيمه إلى ثلاثة أقسام هي :

أ – المثل الموجز :

"هو القول السائر الموجز الذي يشتمل على معنى صائب ، و تشبه فيه حالة مضربه بحالة مورده ".

و هذا النوع من الأمثال هو الذي تتبّعه مدوّنو الأمثال العربية ، و عنوا به فجمعوه و شرحوه ، و بيّنوا موارده و مضاربه .

و يدخل فيه الحِكَم الموجزة التي شاعت بين النّاس ، و فشت في الاستعمال اللّغوي ، حتى أصبحت أمثالا يتداولها الناس في أحاديثهم و كتاباتهم ، كقولهم : (الحرب غشوم ، النّساء حبائل الشيطان ، العود أحمد) .

كما يدخل فيه الأمثال الشعرية ، أعني أبيات الحكمة ، أو أنصافها ، أو أجزائها في الكلام حتى سارت ، و تمثّل بها النّاس في مختلف العصور و البيئات ، كقول معن ابن أوس:[1]

أعلّمه الرّماية كلّ يوم فلما اشتدّ ساعده رماني

و كم علّمته نظم القوافي فلما قال قافية هجاني

و قول الشاعر[2]:

يا باري القوس بريا ليس يحكمه لا تظلم القوس أعط القوس باريها

---

[1] اللسان (سدد) .

[2] أبو هلال العسكري"جمهرة الأمثال "ج 1 ص 77 ، و الفاخر ص 304 .

و قول لبيد [1] :

ألا كلّ شيء ما خلا اللّهَ باطلُ و كلُّ نعيم لا محالة زائلُ

و قول الشاعر [2]:

المستجير بعمرو حين كربته كالمستجير من الرّمضاء بالنّار

و قول النابغة الذّبياني [3]:

و لست بمستبق أخا لا تلومه على شعث أيّ الرّجال المهذّب

و يدخل في هذا النوع أيضا الأمثال على وزن " أفعل من" و التي تدلّ على المبالغة في التشبيه كقولهم : " أجود من حاتم ، أبخل من مادر ،أبلغ من سحبان ، أعيا من باقل ، أصدق من قطاة ، أكذب من مسيلمة ، أسمع من فرس ، أطيش من فراشة " .

ب – المثل القياسي :

و هو ذلك المثل السردي و الوصفي و القصصي الذي يستهدف توضيح فكرة ما ، أو البرهنة عليها عن طريق التشبيه أو التمثيل الذي يقوم على المقارنة و القياس ، يرد إمّا ليصور نموذجا من السلوك الإنساني بقصد التأديب ، أو التمثيل و التوضيح ، و إمّا أن يجسّد مبدأ يتعلّق بملكوت اللّه تعالى و مخلوقاته ، و هو كلام مطنب و ليس تلخيصا لقصة ، و لا إشارة إليها ، و ليس اقتباسا ، و إنّما هو قصة

---

[1] لبيد " الديوان" 256 .

[2] الأصفهاني" الأغاني "ج20 ، دار الكتب المصرية 1345 هـ ص 132 و جمهرة الأمثال 2ج ص 160 .

[3] النابغة الذبياني "الديوان" ط1 تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار بيروت للطباعة و النشر ، 1980 ص 14 و جمهرة الأمثال ج 1 ص 188 .

بأكملها ، أو صورة مجازية بسيطة جاء بهـا الحكـيم للإيـضاح أو التأديـب و التحذير [1].

و هذا النوع من الأمثال يكاد يكون معدوما من مدوّنات الأمثال العربية القديمة ، و لكنّنا نجده بكثرة في القرآن الكريم ، كقولـه تعـالى : ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [2]، و في كلام الرسول صلّى الله عليه و سلّم [3] " إنّ من البيان لسحرا". و قد نسج حكماء الإسـلام أمثـالا قياسية على منوال أمثال القرآن و الـسنّة ، فقـد روي عـن علـي بـن أبي طالب – كرّم الله وجهه – قوله : " مثل الدنيا كمثل الحيّة ، ليّن مسّها ، والـسّمّ النّاقع في جوفها ، يهوى إليها الغرّ الجاهل ، و يحذرها ذو اللّـبّ العاقـل " [4]. و قوله : " مثل الإنسان الحصيف مثل الجسم الصلب الكثيف ، يسخن بطيئـا ، و تبرد تلك السّخونة بأطول من ذلك الزمان " [5] .

---

[1] د . عبد المجيد عابدين " الأمثال في النثر العربي القديم " ط ، القاهرة 1919 ص 158 .

[2] سورة الجمعة الآية 5 .

[3] مجمع الأمثال ج1 ص 7 .

[4] نهج البلاغة 2 /333 (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ــ القاهرة 1963) .

[5] سجع الحمام في حكم الإمام 373 (جمع علي الجندي و آخرين ــ القاهرة 1967 م) .و الحصيف : المتمكن من نفسه ، المستحكم عقله .

جـ – المثل الخرافي :

و هو تلك الكلمات الموجزة السائرة التي أجراها العرب على ألسنة الحيوان ، أو نسجوه حوله ، و جعلوه فيها يتحدّث و يفعل كما يتحدّث الإنسان و يفعل ، و يقصدون بذلك التسلية و الفكاهة ،أو الحث على مكارم الأخلاق . و طبيعي أنّ هذا النوع من الكلمات و الحكايات لا أساس له من واقع أو عقل ، و من ثمّ كان علماء اللغة يطلقون عليه اسم " أكاذيب العرب " أو " أكاذيب الأعراب " أو" رموز العرب " .

و ينقسم المثل من حيث شكلُه إلى نوعين :

1 – أن يأتي على صورة عبارة لفظية موجزة ، منطوية على شيء من الحكمة أو الرأي السديد ، من مثل قولهم : "تجوع الحرّة و لا تأكل بثديها "، يضربونه في الرجل الكريم يصون نفسه عن المكاسب الخسيسة ، قولهم : " مقتل المرء بين فكّيه" يريدون: لسانه و ما يتكلّم به، و قولهم : "استنوق الجمل " لمن يدّعي أنّ لديه رأيا حصيفا ، ثمّ يتضح عجزه و عيّه .

2 – ما كان مبنيا على الحوادث و القصص و الحكايات ، : "وافق شنّ طبقة " و قولهم :" قطعت جهيزة قول كلّ خطيب " و " عند جهينة الخبر اليقين " .

3 - بلاغة المثل :

تشغل عناصر البلاغة العربية حيّزا واسعا في الأمثال بصورة قد لا توجد في الشعر القديم ،و هما أروع ما خلّفه العقل العربي القديم من تراث لغوي و ثقافي .

و من ثمّ رأيت أنه من الضروري أن تنهض دراسة لهذه الأمثال ، من الوجهة البلاغية لاستنتاج قيمها الجمالية و الفنية ،قال إبراهيم النّظام :"يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام : إيجاز اللفظ ، و إصابة المعنى ، و حسن التشبيه ، و جودة الكناية ؛ فهو نهاية البلاغة " [1].

و قد نقلها الشيخ إبراهيم الطرابلسي الحنفي في أرجوزته (فرائد اللآلي) لأمثال الميداني فقال :

و اجتمعت أربعة في المثل ... منها قد خلا كلّ جليّ

إيجاز لفظ، و إصابة لما ... عنيّ، و تشبيه بحسن رسما

رابع معنى ، جودة الكناية ... بها البليغ أدرك النهاية

المثل من أساليب الاستعارة التمثيلية التي أساسها تشبيه حالة بحالة ، أو هيئة بهيئة كما يقول علماء البلاغة . و هذه الاستعارة أقوى أساليب البيان ، و أعلاها كعبا في البلاغة ، لأنّها تجسد المعاني المعقولة و تشخصها ،و تخرجها في صور حسية تزخر بالحركة و الألوان و الحياة .

و إذا حللنا مثلا كالذي يقول : " كالمستجير من الرّمضاء بالنار " وجدنا أنّ مضربه هو الرجل يفر من الأمر إلى ما هو شرّ منه ، و هو أمر معقول قد يعسر

[1] مقدمة" مجمع الأمثال للميداني" .

تصوره . أما مورده فهو الرجل يفرّ من حرّ الرّمضاء ، و هي التراب الحار ، فيقع فيما هو أشدّ حرارة منه ، و هي النار ، و تلك صـــورة حـــسية ، تقـــع عليهـــا أبصارنا ، و تألفها سائر حواسنا ، فإذا استعرناها لحالة الرجل الأول كنا قد بيّناها أحسن بيان ، و أبرزناها من الخفاء إلى الوضوح ،و هكذا تفعل الأمثال بالمعـــاني المعقولة .

و للعلماء في بلاغة المثل و أسبابها أقوال ، نورد بعضها . يقول ابن المقفـــع (ت : 142 هـــ): إذا جُعل الكلام مثلا كان أوضح للمنطق ، و أنق للسّمع ، و أوسع لشعوب الكلام "[1].

و يقول المبرّد (ت 286 هـــ): " و الكلام يجري على ضروب ، فمنه ما يكون في الأصل لنفسه ، ومنه ما يكنى عنه بغيره ، و منه ما يقع مثلا فيكون أبلغ في الوصف "[2].

و يقول الزمخشري (ت538 هـــ) ، في معرض الكلام عن المثل القرآني :" لما جاء بحقيقة صفتهم عقّبها بضرب المثل زيادة في الكشف ، و تتميما للبيان . و لضرب الأمثال ، و استحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفي في إبراز خبيئـــات المعاني ، ورفع الأستار عن الحقائق، حتى يريك المتخيّل في صورة المحقّق، والمتـــوهّم في معرض المتيقّن ، والغائب كأنّه مشاهد ، وفيه تبكيت للخصم الألدّ ، و قمـــع

[1] مقدمة "مجمع الأمثال" .

[2] المبرّد " الكامل" ، تحقيق و تعليق محمد أحمد الدالي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط2 1997 ص674 .

لسورة الجامع الأبيّ ، و لأمر ما أكثر الله في كتابه المبين و في سائر كتبه أمثالـــه ، و فشت في كلام الرسول صلّى الله عليه و سلّم و كلام الأنبياء و الحكماء " [1].

و إذا كانت هذه الأقوال قد تناولت جانبا واحـــدا مـــن جوانـــب بلاغـــة المثل ،و هو إبراز للمعاني الخفية في صور جليّة حسية فإنّ هناك أقـــوالا تعرّضـــت لجوانب أخرى لهذه البلاغة ، منها قول القاسم ابن ســـلاّم (ت 224 هـــــ) "و الأمثال حكمة العرب في الجاهلية و الإسلام ، و بها كانت تعارض كلامهـــا ، فتبلغ ما حاولت في المنطق بكناية غير تصريح ، فيجتمـــع لهـــا بـــذلك ثـــلاث خلال : إيجاز اللّفظ ، و إصابة المعنى ، و حسن التشبيه " [2].

و قول أبي حيان التوحيدي : " قال أبو سليمان : و أمّا بلاغة المثل فـــأن يكـــون اللفظ مقتضبا ، و الحذف محتملا ، و الصورة محفوظـــة ، و المرمـــى لطيفـــا ، و التلويح كافيا ، والإشارة مغنية و العبارة سائرة "[3].

و نستطيع أن نستخلص من الأقوال السابقة عناصر بلاغـــة المثـــل و أســـبابها ، و هي : الإيجاز، و إصابة المعنى ، و حسن التشبيه ، و جودة الكناية ، و الـــذيوع و السيرورة .

---

[1] الكشاف 1 / 54 .

[2] مقدمة " كتاب الأمثال " له .

[3] أبو حيان التوحيدي " الإمتاع و المؤانسة " ، تحقيق أحمد أمين و أحمد الزين ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ،(د . ت) ج 2 ص 140 .

الفصل الأول

صور البيان في المثل العربي

مفهوم الصورة

مفهوم البيان

أهمية الصورة و وظيفتها

1. صور البيان في المثل العربي :

تتوافر في الأمثال العربية ألوان من التعبير المجازي ، لا تتوافر في غيرها من فنون النثر الأخرى ذلك أنّ العرب كانوا يهتمون كلّ الاهتمام بالألفاظ و العبارات ، باعتبارها القوالب التي تصاغ فيها مضامين الكلام و معانيه ، كما كانوا يعتنون بالطريقة الجمالية التي يمكن أن يظهر عليها كلامهم . لتتحقّق البلاغة ، و يتمّ النّفاذ إلى النّفوس ،و التأثير فيها . و في هذا يقول أبو هلال العسكري : " و لمّا عرفت العرب أن الأمثال تتصرف في أكثر وجوه الكلام ، و تدخل في جلّ أساليب القول أخرجوها في أقواها من الألفاظ ، ليخفّ استعمالها ،و يسهل تداولها " [1]. و قد التفت الدكتور شوقي ضيف إلى ظاهرة انتشار الصور البيانية و المحسنات اللفظية في الأمثال العربية القديمة فقال :"مَن يُنعم النّظر في الأمثال الجاهلية يجد طائفة منها تُوفِّر لها ضروب من القيَّم التصويرية و الموسيقية ، ففيها أحيانا تشبيه و استعارة و كناية و تمثيل ، و فيها أحيانا أخرى صَقْل و سجع و تنميق . و نحن نصطلح على تسمية هذه القيّم الفنّية ، التي تقابلنا في نصوص الأدب الجاهلي نثرِه و شعرِه ، باسم الصّنعة . و قد تسرّبت إلى الأمثال بعض هذه القيّم التي كانت تشيع في نثر الجاهليين و شعرهم ، و ليس معنى ذلك أنّهم حقّقوا لأمثالهم جميعا ضروبا مختلفة من هذه القيّم ، فذلك إنّما يظهر في القلّة القليلة ، أما الكثرة فمغسولة من كلّ فنّ و بيان ، و مرجع ذلك إلى أنّ الأمثال تجري في لغة التخاطب و أحاديث النّاس اليومية العادية ، و قلّما نمّق أصحاب هذه الأحاديث لغتهم ، أو حاولوا أن يوفّروا لها

---

[1] مقدمة" جمهرة الأمثال " .

ضروبا من الجمال الفنّي البديع ، و من ثمّ كان كثير من الأمثال الجاهلية يخلو خلوّا تامّا من المهارة البيانية" [1].

إلاّ أنّ هناك من خالف الدكتور شوقي ضيف في بعض ما ذهب إليه ، و لا يوافقه على أنّ معظم الأمثال الجاهلية مغسول من كلّ فنّ و بيان ، و أنّ الأصل في الأمثال ألاّ تكون مصقولة و لا مصنوعة ، و يرى عكس ذلك تماما ، و هو أنّ الكثرة الكاثرة من هذه الأمثال أخرجها العرب في صور رائعة من التشبيهات و الاستعارات و الكنايات ، و زيّنوها بألوان زاهية من الأسجاع و المقابلات و الازدواج و الجناس .و قد أثبت هذه الظاهرة فيما مضى ،و قدّم عليها الشّواهد الغزيرة من الأمثال، و دعمّها بأقوال العلماء و البلغاء .

و قد علّل الدكتور شوقي ضيف ، لخلو معظم الأمثال الجاهلية من آثار الصّنعة و البيان ، بأنّ الأمثال من لغة الشّعب ، و أنّ الشّعب قلّما ينمّق لغته ،و كأنه يريد بهذا أنّ معظم الأمثال يصدر عن عامة النّاس و سَوادهم ، لا عن خاصتهم و ذوي العقول الكبيرة منهم . إلاّ أنّ هناك من يرى العكس أيضا ، مؤكّدا أنّ معظم الأمثال العربية صدر عن الطّبقات الممتازة من العرب ، و هم الشعراء و الحكماء و البلغاء ، و يؤيدهم في ذلك قول حمزة الأصبهاني :"إذ كانت أمثال العرب القديمة إنّما صدر أكثرها عن قرائح الشعراء فسار على ألسُن الدّهماء" [2].

---

[1] الفن و مذاهبه في النّثر العربي ص24 ، 25 .

[2] مقدمة (الأمثال الصادرة عن بيوت الشعر) مخطوط .

كما يؤيّدنا قول الزّمخشري :"ثمّ هي قصارى فصاحة العرب العرباء ، و جوامع كلمها ، و نوادر حِكَمها و بيضة منطقها ، و زُبدة حوارها ن و بلاغتها التي أعربت بها عن القرائح السّليمة ، و الزكَن البديع ، إلى ذرابة اللّسان ، و غرابة اللّسَن" [1].

و من ناحية أخرى لو تصفّحنا الأمثال الجاهلية لوجدنا كثيرا منها يُنسب إلى لقمان العادي ، أو أكثم بن صيْفي ، أو عامر بن الظَّرِب ، أو بن حارثة أو غيرهم من الحكماء و الشّعراء و رُؤساء القبائل و العشائر . يضاف إليها الأمثال الصّادرة عن الرّسول صلّى اللّه عليه و سلّم الذي يتّصف بروعة البيان و جمال الأسلوب و إيجاز المعنى و صدق القول ، و هو القائل :"أنا أفصح العرب بيد أنّي من قريش"، إلى جانب الأمثال الصّادرة عن الخلفاء الرّاشدين .

و قد اعترف الدكتور شوقي ضيف في نهاية حديثه عن الأمثال الجاهلية ، بأنّ العرب ، و هم مشغوفون بالبيان و البلاغة ، أعطوا لهذه الأمثال نصيبا مهمّا ، حيث يقول :"و طبيعي أن تظهر الصّنعة في بعض الأمثال الجاهلية ، فقد كان العرب حينئذ مشغوفين بالبيان و البلاغة ، و صور القرآن الكريم فيهم هذا الجانب ، فقال جلّ شأنه : ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ﴾ [2]

---

[1] مقدّمة "مستقصى الأمثال " .

[2] سورة محمد الآية 30 .

و قال : ﴿ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ﴾ [1] و قال : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [2]، و في جميع آثار نثرهم و شعرهم نجد آثار هذه الرّغبة الملحّة في استمالتهم الأسماع بجمال منطقهم ، و خلابة ألسنتهم ، و قد دفعتهم هذه الرّغبة دفعا إلى تحسين كلامهم ، و تحبير ألفاظهم حتى في أمثالهم ، و هيّأ ذلك أنّ كثيرا من بلغائهم و فصحائهم أسهموا في صناعة هذه الأمثال ، فكان طبيعيا أن تظهر فيها خصائصهم الفنية التي يستظهرونها في بيانهم ، و تدبيج عباراتهم حتى ينظمون أو يخطبون" [3] .

و إذا استقرأنا الأمثال العربية وجدنا كثيرا منها جاء في صور رائعة من أساليب التشبيه و الاستعارة و الكناية . و الواقع أنّ المثل يقترن في مباحث القدماء بمختلف صور البيان ؛ فقد ورد عن ابن السكيت (ت 244 هـ) مقرونا بالاستعارة في باب تناول فيه حروفا تقع مستعارة ، و بالتحديد عند تعليقه على قول لبيد :

و غداة ريح قد كشفت و قرّة إذا أصبحت بيد الشمال زمامها [4] .

قائلا : " فقوله (بيد الشّمال) مثل ، أي قرّة فيه عن الشّمال " . [5]

---

[1] سورة المنافقون الآية 4 .

[2] سورة البقرة الآية 104 .

[3] الفن و مذاهبه في النثر العربي 26 .

[4] لبيد " الديوان " ص 176 .

[5] الحروف التي يتكلّم بها في غير موضعها لابن السّكيت (ضمن ثلاثة كتب في الحروف)، تحقيق د . رمضان عبد التواب ، ط 1 ، مكتبة الخانجي بالقاهرة و دار الرّفاعي بالرّياض ، 1402 هـ ـ 1982 م ، ص 97 .

و ليس معنى هذا أنّ الأمثال العربية لم تأت إلاّ على صورة من صور البيان الثلاث ، بل منها كثير جاء في صورة الحقيقة أيضا ، كقولهم : " الحديث ذو شجون "، " أسعد أم سعيد" ،" أعذر من أنذر" ، "إنّ غدا لناظره قريب" ،"عند جهينة الخبر اليقين" ،" وافق شنّ طبقة " .

و للبحث في الأمثال العربية من الوجهة الجمالية ، و التي تصنعها صور البيان من تشبيه و استعارة و كناية ، لابدّ من الوقوف عند كلّ صورة من هذه الصور من الوجهة النظرية حتى يتم الإلمام بها ، و محاولة تتبّعها عبر الأمثال المختارة .

2. مفهوم الصورة :

الصورة الفنية طريقة خاصة من طرق التعبير ، أو وجه من أوجه الدلالة ، تنحصر أهميتها فيما تحدثه في معنى من المعاني من خصوصية و تأثير. و لكن أيّا كانت هذه الخصوصية ، أو ذاك التأثير ، فإنّ الصورة لن تغير من طبيعة المعنى في ذاته . إنّها لا تغيّر إلاّ من طريقة عرضه و كيفية تقديمه ، لكنّها ــ بذاتها ــ لا يمكن أن تخلق معنى ، بل إنّها يمكن أن تحذف دون أن يتأثّر الهيكل الذّهني المجرّد للمعنى ، الذي تحسّنه أو تزيّنه . و تبدو الصورة مثل هرم متعدّد الوجوه و الزوايا و قد وقف الباحثون عند هذه الوجوه و رصدوا تلك الزوايا فعبّروا عن هذه الصورة و لوازمها منطلقين من طبيعة رؤيتهم لها . و إذا ما بدأنا بالحدّ اللغوي للصورة فإنّها تعني الشكل ، و قد تعني النوع و الصفة [1] ، و قد عدّ قدامة بن

[1] الفيروزابادي "القاموس المحيط" ، ط مصطفى الحلبي . مادة(ص و ر) .

جعفر (ت 337 هـ) [1] ،و أبو هلال العسكري(ت395هـ) [2] و ابن الأثير (ت 606هـ) [3] "الصورة قسيما للمعنى، أي أنّهم عدوها الشكل الذي يحتضن المعنى" [4] ، فالصورة هي "الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ و العبارات بعد أن ينظمها المبدع في سياق بياني خاص يعبّر عن جانب من جوانب تجربة صاحبها. .

و قد رأى بعض الباحثين أنّها أقرب إلى البناء الفنّي منها إلى الموضوع [5] ، على أنّ الصورة لا تبدو نائية عن الفكرة ، فهي تنسجم معها و تتآزر في سبيل إبرازها مع الأدوات الفنّية الأخرى في العمل الإبداعي ، و يأتي هذا من منطلق أنّ الفكرة هي مصدر الأساس لينبوع الصور المتدفّق ، إنّها نقطة البدء التي تحفز على ظهور شريط الصور الحيّة في العمل الفنّي ، إذ أنّ المبدع لا يستطيع أن يبلغ هدفه و يصل إلى معناه دون مرقاة من الصور يرتقي بها إلى دلالته فيصيب مبتغاه.

و قد ارتبط مصطلح الصورة بالشعر ؛ فلا قصيدة دون أن تشع فيها الصورة ، و تتواصل مع أدوات بناء القصيدة و لوازمها ، فهي وليدة الخيال المبدع للشاعر يصوغها على وفق تشكيل لغوي خاص ، و قد عبّر إخوان الصفا عن أهمية الخيال في خلق الصورة بقولهم :"إنّ الصورة التي يسمو بها شأن الشاعر هي مزاج

---

[1] قدامة بن جعفر "نقد الشعر" ، دار عطوة 1389 هـ تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي . ص 65 .

[2] أبو هلال العسكري " كتاب الصناعتين " ، ط الحلبي 1971 ص 425 .

[3] ابن الأثير" المثل السائر" جـ 2 ، ص 13 ، 135 .

[4] الصورة المجازية في شعر المتنبي ، ص 16 .

[5] محمد الصادق عفيفي" النقد التطبيقي و الموازنات" ، مطابع الرجوي ، القاهرة ، 1978، ص 137 .

بين الخيال و الواقع الحسّي و الذهني بألفاظ عذبة" [1] . و يبدو أنّ أكثر معاني الخيال شيوعا كما يقول أحد الباحثين هو توليد صور شعرية محسوسة [2] .

من هنا يمكن الوقوف عند تعريف دقيق للصورة على أنّها" تشكيل لغوي ، يكّونها خيال الفنان من معطيات متعدّدة و يقف العالم المحسوس في مقدمتها ، فأغلب الصور مستمدّة من الحواس ، إلى جانب ما لا يمكن إغفاله من الصّور النفسية و العقلية" [3] .

و هناك دراسة تتبنّى التعريف القائل : بأنّ الصورة هي "طريقة التعبير عن المرئيات و الوجدانيات لإثارة المشاعر و جعل المتلقي يشارك المبدع أفكاره و انفعالاته" [4] .

و بما أنّ هذه الدراسة تقوم على مصطلحي الصورة و البيان ، فإنّ ما ذكر لا يغني عن تتبّع مصطلح البيان و ما قيل بشأنه مما له صلة بمصطلح الصورة البيانية مدار هذا البحث ، فموضوعات البيان لدى عدد من الباحثين ، إنّما هي مباحث

---

[1] د . مصطفى غالب"رسائل أخوان الصفا" ، منشورات مكتبة الهلال ، بيروت 1979، ص 46 .

[2] أ . أ ريتشاردز "مبادئ النقد الأدبي" ، ترجمة و تقديم د . مصطفى بدوي طبانة ، مراجعة د . لويس عوض ، مطبعة مصر ، القاهرة ، 1963، ص 309 .

[3] جليل رشيد فالح "الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري"رسالة دكتوراه ، قسم اللغة العربية ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، 1987 ، ص 30 .

[4] د . أحمد مطلوب " الصورة في شعر الأخطل الصغير "، دار الفكر للتوزيع ، عمّان ، 1985 . ص 35 .

في الصورة ؛ إذ أنّ حديث البلاغيين عن التركيب و التمثيل و التخيل و التشبيه و الاستعارة إنّما هو حديث عن الصورة" [1] يستوعب البيان الصورة الفنية و لوازمها في نظر بعض الباحثين "لقد نهض البيان . . بعناصر الصورة الفنية للكلام العربي فكان منه المجاز و التشبيه و الاستعارة" [2] . و يشير باحثون آخرون إلى أنّ البيان هو أقرب المصطلحات الموروثة إلى مدلول مصطلح الصورة [3] ، على أنّ هناك جوانب تشابه و اختلاف بين مصطلحي الصورة و البيان"إنّ الصورة القديمة كانت تنظر إلى أكثر ما تنظر إلى الأدوات البيانية من تشبيه و استعارة و مجاز ، و ليس معنى ذلك أنّ الصورة الحديثة تخلو من ذلك في كلامنا فهي تعتمد أيضا تلك المقومات و أحيانا لا تعتمدها" [4] .

إذن فالصورة و البيان بأنماطه يتقاربان في المفهوم و الدلالة و الوظيفة ، فليس بين الصورة و التشبيه أو الاستعارة أو الكناية جفوة ، فقد تصل هذه الأنماط إلى درجة الخصب و الامتلاء و العمق إلى جانب الأصالة و الإبداع حيث تمثل الصورة و تؤدي دورها [5] .

---

[1] د . جليل رشيد فالح "الصورة المجازية في شعر المتنبي" ، رسالة دكتوراه ، قسم اللغة العربية ، كلية الآداب ، جامعة بغداد 1985 ، ص 38 .

[2] الصورة الفنية في المثل القرآني ، ص 148 ، كما ينظر : بناء الصورة الفنية في البيان العربي ،ص 264 .

[3] د . نصرَت عبد الرحمن " الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث " ، مكتبة الأقصى ، عمّان 1976 ، ص 8 .

[4] د . محمد الصادق عفيفي ،" النقد التطبيقي و الموازنات "، ص 169 .

[5] د . عز الدين إسماعيل" الشعر العربي المعاصر" ، دار العودة ، و دار الثقافة ، ط3 ، بيروت ، 1981 ص 134 .

3. مفهوم البيان :

و إذا توقفنا عند مصطلح البيان وجدنا تعريف الجاحظ له بأنّه "اسم جامع لكلّ شيء كشف لكَ قناع المعنى ، و هتك الحجاب دون الضمير حتى يفضي السامع إلى حقيقته . . .إنما هو الفهم و الإفهام فبأي شيء بلغت الإفهام و أوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع" [1] ، فالجاحظ في مفهومه للبيان لا يخرج كثيرا عن معناه اللغوي ، فالبيان هو الإفصاح مع ذكاء [2] . و لم يستقر مصطلح البيان إلاّ على يد السّكاكي (ت 626 هـ) الذي عرّفه بأنّه"إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة" [3] ، و قد جعله مشتملا على المجاز و التشبيه و الكناية و أشار إلى أنّ هدف هذا التقسيم هو الضبط [4] .

و يبدو أنّ القزويني (ت 739 هـ) قد تابع السكاكي في تعريفه للبيان و في تقسيمه لمباحثه إلى مجاز و تشبيه و كناية [5] .

من هنا يمكن تحديد الصورة البيانية على أنّها" التعبير عن المعنى المقصود لطريق التشبيه و المجاز و الكناية أو تجسيد المعاني" [6] ،و بعد فإنّ هذه الدراسة تتبنى الرأي القائل بأنّ الصورة البيانية إنما تشتمل على أنماط البيان العربي ،و إنّها يمكن أن تقسّم إلى الصورة التشبيهية و الصورة الاستعارية و الصورة الكنائية .

---

[1] الجاحظ " البيان و التبيين "، جـ 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط2 ، 2003 ص 76 .

[2] الفيروزابادي "القاموس المحيط " مادة (ب ي ن) .

[3] السكاكي "مفتاح العلوم"ص 555 .

[4] المصدر السابق ، ص 557 .

[5] الخطيب القزويني"الإيضاح في علوم البلاغة" تحقيق و تعليق د . عبد الحميد هنداوي ، مؤسسة المختار للنشر و التوزيع، ط2 ، 2004 ، القاهرة ، ص 326 .

[6] معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب ، ص 127 .

4. أهمية الصورة و وظيفتها :

تنحصر أهمية الصورة فيما تحدثه في معنى من المعاني من خصوصية و تأثير . و لكن أيّا كانت هذه الخصوصية ، أو ذاك التأثير ، فإنّ الصورة لن تغيّر من طبيعة المعنى في ذاته . إنّها لا تغير إلاّ من طريقة عرضه و كيفية تقديمه ، و لكنّها – بذاتها – لا يمكن أن تخلق معنى ، بل إنّها يمكن أن تحذف دون أن يتأثر الهيكل الذهني المجرّد للمعنى الذي تحسنه أو تزيّنه . فتحدّث الجاحظ و المبرّد و ابن المعتز – في القرن الثالث – عن أهمية الكناية و التعريض و التلميح [1] . و ذهب صاحب الوساطة إلى أنّ الاستعارة أحد أعمدة الكلام ، فعليها " المعول في التوسع و التصرّف إلى تزيين اللفظ و تحسين النظم و النّثر " [2] .

و رأى ابن سنان أنّ الأصل في حسن التشبيه هو " أن يمثل الغائب الخفي الذي لا يعتاد بالظاهر المحسوس المعتاد ، فيكون حُسْنُ هذا لأجل إيضاح المعنى و بيان المراد " [3] و يوضح ابن سنان الفكرة عندما يرد جمال تشبيه امرئ القيس :

كأنّ قلوب الطير رطبا و يابسا لدى وكرها العنّاب و الحشف البالي

إلى ما فيه من إيضاح و بيان فيقول : "و هذا من التشبيه المقصود به إيضاح الشيء ،لأنّ مشاهدة العنّاب و الحشف البالي أكثر من مشاهدة قلوب الطير

---

[1] الجاحظ " رسائل الجاحظ "ج1 ص 307 . المبرد " الكامل " ج2 ص 290 ابن المعتز " البديع "ص64 / 65 .

[2] الجرجاني : "الوساطة بين المتنبي و خصومه" ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم و علي البجاوي ، عيسى الحلبي ، القاهرة ص 428 .

[3] ابن سنان " سر الفصاحة" ، تحقيق عبد المتعال الصعيدي ، مكتبة صبيح ، القاهرة 1969 ص 237 .

رطبا ويابسا " [1] .

و ما ينطبق على التشبيه ينطبق على الاستعارة عند ابن سنان ، ذلك أنّ الاستعارة ــ فيما يرى ــ توضح المعنى ، و تبين عنه ، أكثر مما تفعل العبارات الحرفية. والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾ [2] ، فلا شكّ أنّ نقل الاشتعال من النار إلى الشيب على سبيل الاستعارة ، قد أكسب المعنى فضل إبانة "لأنّ الشيب لما كان يأخذ في الرأس ، و يسعى فيه شيئا فشيئا ، حتى يحيله إلى غير لونه الأول ، كان بمنزلة النار التي تشتعل في الخشب و تحيله إلى غير حاله المتقدّمة ، فهذا نقل العبارة عن الحقيقة في الوضع للبيان و لا بدّ أن تكون أوضح من الحقيقة ، لأجل التشبيه العارض فيها ، لأنّ الحقيقة لو قامت مقامها كانت أولى ، لأنّها الأصل و الاستعارة الفرع و ليس يخفى على المتأمل أنّ قوله عزّ اسمه : ﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا ﴾[3] ، أبلغ من كثرة شيب الرأس ، و هو حقيقة هذا المعنى" [4] .

و لا تقتصر وظيفة الشرح و التوضيح على التشبيه و الاستعارة فحسب بل تتعدّاها إلى التمثيل الذي يكشف المعنى و يرفع الحجاب عن الغرض المطلوب .

---

[1] المرجع السابق ص 239 .

[2] سورة مريم الآية 4 .

[3] نفسه .

[4] ابن سنان"سر الفصاحة" ص 108 ــ 109 .

و الصورة البليغة تتمّ النقلة فيها من الواضح إلى الأوضح أو من الناقص إلى الزائد ، و تتحرّك النقلة الدّلالية في الصورة في طريق صاعد ، من الأدنى إلى الأعلى ، فيصبح المشبه به أكثر تمكّنا في الصفة المقصودة من المشبه و المستعار منه أبْين من المستعار له ، و الصورة الحسّية التي نواجهها في ظاهر الكناية أو التمثيل أكثر دلالة على المقصود من معناها الأصلي المجرّد . وإذا لم يحدث ذلك فقدت الصورة قيمتها ، و كانت " الحقيقة" أولى و أنفع منها .

يضاف إلى وظيفة الشرح و التوضيح ، المبالغة ، و التحسين و التقبيح ، و الوصف و المحاكاة .

و بهذا الفهم لا تصبح الصورة شيئا ثانويا يمكن الاستغناء عنه ، أو حذفه و إنّما تصبح وسيلة حتمية ، لإدراك نوع متميّز من الحقائق التي يحملها الشعر و النثر ، تعجز اللّغة العادية عن إدراكه أو توصيله. و تصبح المتعة التي تمنحها الصورة للمبدع قرينة الكشف ، و التعرّف على جوانب خفية من التجربة الإنسانية. و يصبح نجاح الصورة أو فشلها في العمل الفنّي مرتبطا بتآزرها الكامل مع غيرها من العناصر ، باعتبارها وصلا لخبرة جديدة، بالنسبة للمبدع الذي يدرك ، و القارئ الذي يتلقى .

الفصل الثاني

الصورة التشبيهية في المثل العربي

الصورة التشبيهية

الصورة التشبيهية باعتبار الأداة إلى مرسل و مؤكد

الصورة التشبيهية باعتبار الوجه إلى مجمل و مفصّل

الصورة التشبيهية باعتبار الطرفين إلى تسوية وجمع

الصورة التشبيهية باعتبار الطرفين إلى ملفوف و مفروق

صورةالتشبيه التّمثيلي

صورةالتشبيه المعكوس

صورةالتشبيه المجرّد

صورةالتشبيه البليغ

صورةالتشبيه الضمني

أدوات التشبيه في الأمثال العربية

بلاغة الصورة التّشبيهية

1 . الصورة التشبيهية :

كثر التشبيه و شاع في كلام العرب وأشعارهم ، إذ به استطاعوا أن يصوروا خواطرهم وأفكارهم ، و أن ينبئوا عما يكن بأنفسهم من معان و أفكار . . . كما كثر التشبيه في أساليب القرآن الكريم و في أحاديث النبي- صلّى الله عليه و سلّم - و لذا اهتمّت به الدراسات و البحوث البلاغية قديما و حديثا ، و قال عنه صاحب الطراز : "اعلم أنّ التشبيه هو بحر البلاغة و أبو عذرتها و سرّها و لبابها و إنسان مقلتها . . . " [1] . و ذكر السّكاكي في مبدأ حديثه عن علم البيان أنّه قدّم التشبيه على بقية ألوان البيان ؛ لأنّه الفن الذي " إذا مهرت فيه ملكت زمام التّدرّب في فنون السحر البياني "[2] . و قال المبرّد : " و التشبيه جار كثير في كلام العرب ، حتّى لو قال قائل : هو أكثر كلامهم لم يبعد " [3] .

و قال أيضا : " و التشبيه كثير و هو باب كأنّه لا آخر له " [4] . و يعدّ نسيج التشبيه بسيطا قياسا بأنواع البيان الأخرى ، و ربّما كان "من أقدم صور البيان و وسائل الخيال و أقربها إلى الفهم ، و لذلك اعتبره بعضهم من الفنون التي تمثّل المراحل الأولى من التصوير الأدبي و الرّبط بين الأشياء لتقريبها و توضيحها أو إضفاء مسحة من الجمال عليها" [5] . و قد أكّد آر . ليفي (R . Levy)

---

[1] العلوي" الطراز"، ج1 مطبعة المقتطف القاهرة 1914 ،ص 326 .

[2] السكاكي "مفتاح العلوم" ، ص 141 .

[3] المبرّد" الكامل "ج 2 ، ص 79 .

[4] المصدر نفسه :ج 2 ص 115 و ينظر ج2 ص 103 .

[5] فنون بلاغية ، ص 27 .

"إن حبّ التشبيه الذي كان معروفا لكلّ الحضارات البدائية ظلّ شائعا بين الساميين ، و لاسيما العرب ، بصورة أشد و أوضح ، فهو لذلك كان قد قام بدور مهمّ حتى في أعلى مراتب الأدب العربي" .[1]

و يتّفق البلاغيون على أنّ مدار التشبيه هو الاتفاق بين شيئين في صفة أو أكثر ،"و أنّ الشيء يشبّه بالشّيء تارة في صورته و شكله ، و تارة في حركته و فعله ، و تارة في لونه و نجره ، و تارة في سوسه و طبعه" [2] .

بيد أنّ البلاغيين اختلفوا في مقدار اتّفاق هذه الصفة أو الصّفات و اختلافها ، فقد ذهب قدامة بن جعفر إلى أنّ أحسن التشبيه هو"ما أوقع بين الشيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما منها ، حتى يدني بهما إلى حال الاتّحاد" [3].

و إلى ذلك ذهب ابن سنان [4] ، في حين أنّ عبد القاهر الجرجاني يرى أنّ التباعد بين شيئين هو أدعى إلى جودة التشبيه"و هكذا إذا استقريت التشبيهات وجدت التباعد بين الشيئين كلّما كان أشد كانت إلى النفوس أعجب ، و كانت النفوس لها أطرب و كان مكانها إلى أن تحدث الأريحية أقرب" [5] .

---

[1] Encyclopaedia of Islam Vol 3 ، page. 407

[2] ابن ناقيا" الجمان في تشبيهات القرآن " ، تحقيق أحمد مطلوب و خديجة الحديثي ، وزارة الثقافة و الإعلام ، بغداد ص 43 .

[3] قدامة " نقد الشعر" ، تحقيق س . أ . بونيباكر ، مطبعة بريل ، لندن 1956 ص 124 .

[4] ابن سنان " سر الفصاحة " ، ص 93 .

[5] عبد القاهر الجرجاني " أسرار البلاغة " ، دراسة و تحقيق د . علي رمضان الجربي ج1 ، ج2 منشورات ELGA فاليتا ــ مالطا 2001 ،ص 116 .

" و التشبيه أصل أساسي من أصول الصور البيانية لتصويره المعنى تصويرا هادئا تنتقل منه إذا ما أردت التعمّق في التصوير إلى الاستعارة ، ثمّ إلى الكناية فهذه هي الطرق المختلفة في الدلالة على المعنى وضوحا و خفاء" [1] .

و ليست التشبيهات على مستوى واحد في قوّة التصوير و درجة المبالغة ، بل تتفاوت دلالاتها ، نظرا لما يذكر في التعبير أو يطوى من أجزاء التشبيه : المشبه و المشبه به و وجه الشبه و أداة التشبيه . .

و إذا كان التشبيه بجميع صوره و أشكاله من أساليب البيان المتّفق على بلاغتها ، فإنه في الأمثال يبلغ قمّة البلاغة ، و يحتلّ ذروتها ، ذلك أنّ مضارب الأمثال تكون عادة من المعاني المعقولة التي قد يصعب تصورها، و من ثمّ يلجأ النّاس إلى ضرب الأمثال لها بأمور حسّية ، و أحداث واقعية ، تكون مأنوسة لهم ، و معروفة لديهم ، و هي موارد الأمثال ، فلا تلبث هذه المعاني المعقولة أن تبرز من الخفاء حتى تكون في متناول الحواس الظاهرة .

و يسمي علماء البلاغة هذا النوع من التشبيه بالتمثيل ، و يتّفقون على أنّه من أرفع أساليب البيان و أسماها ، و فيه يقول عبد القاهر الجرجاني :" واعلم أنّ مما اتّفق العلماء عليه أنّ التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني ، أو برزت هي باختصار في معرضه ، و نقلت عن صورها الأصلية إلى صورته كساها أبّهة ، و أكسبها منقبة ، و رفع من أقدارها ، و شبّ من نارها ،و ضاعف قواها في تحريك النّفوس لها ،

[1] التصوير البياني ، ص 18 ــ 19 .

و دعا القلوب إليها ، و استثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة و كلفا ، و قسر الطّباع على أن تعطيها محبّة و شغفا " [1] .

و غايتنا المنشودة من وراء هذا البحث هي أن نقف على أنواع التشبيه ، خاصّة المتَمَثَّلة في المثل العربي .

التشبيه وصف الشيء بمشاركته الآخر في معنى ، و هو يستدعي خمسة أشياء : الطرفين ليحصل ، و الوجه ليجمع ، و الغرض ليصحّ ، و الأحوال ليحسّن ، و الأداة لتوصل .

التشبيه لغة التمثيل يقال :هذا شبه هذا و مثيله ، و شبهت الشيء بالشيء أقمته مقامه لما بينهما من الصفة المشتركة .

و اصطلاحا إلحاق أمر(المشبه) بأمر(المشبه به) في معنى مشترك(وجه الشبه) بأداة (الكاف و كأنّ و ما في معناهما) لغرض (فائدة) .

أركانه : مما سبق تعلم أنّ أركانه أربعة : مشبّه ، و مشبه به ، و يسميان بالطرفين ، و وجه الشبه ، و أداة .

فائدته : إيضاح المعنى المقصود مع الإيجاز و الاختصار. ألا ترى أنّك إذا قلت : عليّ كالأسد كان الغرض أن تبين حال علي و أنه متصف بقوّة البطش و شدة المراس و عظيم الشجاعة ،و ما إلى ذلك من أوصاف الأسد البادية للعيون .

---

[1] أسرار البلاغة ، ص ، 92 .

و لا شيء أدلّ على ذلك من تشبيهه بالأسد من أجل أن كانت هذه الصفات خصيصة بالأسد مقصورة عليه ، فصار هذا القول أكشف و أبين للقصد من قولك : عليّ شجاع إلى أشباه ذلك .

و من أسباب ذلك ما يلي :

- ما يحصل للنفس من الأنس به بإخراجها من الخفي إلى الجلي الواضح .
- ما يحصل لها من الأنس بإخراجها مما لم تألفه إلى ما هي به ألف.
- ما يحصل لها بالانتقال مما تعلمه إلى ما هي به فإنك ترى الفرق بينا ، بين أن تقول : الدنيا لا تدوم ثم تسكت ، و بين أن تذكر عقب ذلك قوله صلى الله عليه و سلم :" من في الدنيا ضيف و ما في يده عارية و الضيف مرتحل و العارية مؤداة ".

و تنشد قول لبيد :

و ما المال و الأهلون إلا وديعة و لا بدّ يوما أن ترد الودائع

في الطرفين :

ينقسم الطرفان إلى حسيين و عقليين و مختلفين ،و إلى مفردين و مركبين و مختلفين،. فالحسيان ما يدركان هما أو مادتهما أي أجزاؤهما بإحدى الحواس الخمس الظاهرة،و بهذا التفسير دخل في الحسي شيئان.

أ – ما كان الطرفان فيه مشتركين إما :

❖ في صفة مبصرة كتشبيه الحور الحسان بالياقوت و المرجان في قوله تعالى : ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾[1]، و قولهم في المثل العربي :"كالأشقر إن

[1] سورة الرّحمن الآية 58 .

تقدّم نحر ، و إن تأخّر عقر" ، فالعرب تتشاءم من الأفراس بالأشقر ، و يضرب المثل لمن يكره من وجهين .

❖أو في صفة مسموعة كتشبيه الصوت الحسن بالموسيقى ، و الأسلحة في وقعها بالصواعق،و الأصوات غير المفهومة بأصوات الفراريج في قول عياش ابن سلمة يذم بني دالان :

كأنّ بني دالان إذ جاء جمعهم فراريج بلقة بينهنّ سويق

و قولهم :"كالمهدّر في العنّة و المهدر هو الجمل له هدير" ، يضرب للرجل لا ينفذ قوله و لا فعله .

و قولهم :"ما مثل صرخة الحبلى" ، و يروى "صيحة الحبلى" أي صيحة شديدة عند المصيبة أو غيرها .

❖أو في صفة مذوقة كتشبيه الفواكه الحلوة بالعسل و البرقوق بالكرز، و الريق بالخمر في قول امرئ القيس :

كأنّ المدام و صوب الغمام و ريح الخزامة و نشر القطر

يعلّ به برد أنيابها إذا طرب الطائر المستحر

و قول المثل :" كالخمر يشتهى شربها و يكره صداعها"، يضرب لمن يخاف شرّه و يشتهى قربه .

❖أو في الصفة المشمومة كتشبيه رائحة الرياحين المجتمعة بالغالية و النكهة بريح العنبر.

❖أوفي الصفة الملموسة كما يشبه الجسم بالحرير في النعومة كقول ذي الرّمة :

لها بشرة مثل الحرير و منطق رخيم الحواشي لا هراء و لا نزر.

و قول المثل :" سواسية كأسنان الحمار" و هو مثل في الهجاء ، و قد قال الأصمعي و أبو عمرو : ما أشدّ ما هجا القائل ، و ذكرا هذا المثل .

و مثله :" سواسية كأسنان المشط" قال كثيّر :

سواء كأسنان الحمار ؛ فلا ترى لذي شيبة منهم على ناشئ فضلا

و قالت الخنساء :

فاليوم نحن و من سوانا نا مثل أسنان القوارح

أي لا فضل لنا على أحد .

أو يكون المشبه يحمل معنى معقولا و المشبه به يمثل حالة حسّية ، كما ورد في المثل :"قبل الرّماء تملأ الكنائن" يضرب في الاستعداد للأمر قبل حلوله و هو معنى معقول ، شبّه بحالة محسّة ، هي حالة الرجل يستعدّ للرّمي قبل أوانه ، فيملأ جعبته سهاما .و نفسه قولهم:" قبل الرّمي يراش السّهم" .

و المثل :"منك ربضك و إن كان سمارا" يتمثل به في الملازمة في الخير و الشر و الحث على الاحتمال على ما يأتيك من قريبك من شر أو عيب . و هذا المضرب أمر معنوي لا يدرك إلاّ بالعقل، و من ثم لجأ قائله إلى إخراجه في صورة حسية فشبه القريب بالسمار و يقصد به اللبن الكثير الماء ، و على صاحبه أن يتحمّل الأذى. و نفس المعنى في قولهم:"منك أنفك و إن كان أجدع" و قولهم:" منك عيصك و إن كان أشبا".

و قولهم :"ليس الهنء بالدّسّ" و يضرب للذي يقصّر في الأمر ، و لا يبالغ في إصلاحه ، و هو أمر معقول لا تدركه الحواس . أما أصله ، و هو المشبه به ، فهو أن يجرب البعير في مواضع من جسمه ، فيقتصر الذي يطليه بالقطران على هذه

المواضع وحدها ، على حين أنّ الواجب عليه أن يعم بالطلاء جميع جلده ، لئلا يتعدّى الجرب موضعه، فيجرب موضع آخر. و بهذا التشبيه خرج المعنى من دائرة العقل إلى دائرة الحسّ، و برز من الخفاء إلى الوضوح .

و قولهم : "سقط العشاء به على سرحان" و يتمثل به للرجل يطلب حاجة فيؤديه طلبها إلى التلف. أما أصله أنّ رجلا خرج يلتمس العشاء فصادف ذئبا فأكله.

و بالمقارنة بين المضرب و المورد، في هذا المثل ، يتبين لنا كيف أدّى التشبيه وظيفته في تشخيص المعنى و تصويره.

و مثله في قولهم:"سقط في أمّ أدراص"وأمّ الدرص : اليربوع و يضرب لمن وقع في داهية .

نرى في هذه الأمثال جميعا أنّ مضاربها، و هي المعاني المراد للتمثّل ، أمور معقولة ، لا تدرك إلاّ بالفكر و النظر ، لذلك لجأ العرب إلى صور حسّية منتزعة من البيئة ، فشبّهوا بها تلك المعاني المعقولة ، و أخرجوها بهذا التشبيه من الخفاء و الإبهام إلى الوضوح و الجلاء . و هكذا جميع الأمثال.

و قد وردت الصورة التشبيهية بأنواع مختلفة أهمّها :

2 . الصورة التشبيهية باعتبار الأداة إلى مرسل و مؤكّد :

- **التشبيه المرسل :**

تشبيه ذكرت فيه أداة التّشبيه ، كما في المثل :

" أجلك أجلك إنّ من لا أجل له كساع إلى الهيجا بغير سلاح "

و قولهم :"إنّه لأحمر كأنّه الصّربة ، يضرب في وصف الأحمر ، إذا بولغ في وصفه .

و المثل القائل :"أنت في مثل صاحب البعرة" ، يضرب لكلّ مظهر على نفسه ما لم يطّلع عليه .

و أيضا قولهم :"أنت كبارح الأروى" ، يضرب لمن تطول غيبته .

و قولهم :"إنّما الشّيء كشكله" ، قاله أكثم بن صيفي" ، يضرب للأمرين أو الرّجلين يتّفقان في أمر فيأتلفان .

و قولهم :"تركته على مثل عضرط العير" ، و عضرط العير: عجانه ، يضرب لمن لم تدع له شيئا .

و قولهم :"تركتهم كمقصّ قرن" ، يضرب لمن يستأصل و يصطلم .

و قول المثل :"تركته على مثل خدّ الفرس" ، أي تركته على طريق واضح مستو .و المثل القائل :"ليس المتعلّق كالمتأنّق" ، المتعلّق :الذي يكتفي بالعلقة ، و هي القليل من الشّيء ، أي ليس الرّاضي بالبلغة من الشّيء كالمتخيّر ذي النّيقة يأكل ما يشاء ، و يختار منه ما يؤنقه [1] ، أي يعجبه .

و قولهم :"كأنّه سهم زالج" ــ و يروى "زالق" ــ ، يضرب للسّريع السّير .

و قول العرب :"النّاس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة" ، أي أنّهم كثير ، و لكن قلّ منهم من يكون فيه خير .

و أيضا :"النّاس كأسنان المشط"، أي متساوون في النّسب ، أي كلّهم بنوا آدم .

و المثل القائل :"أنا إذن كالخاتل بالمَرْخَةِ" ، المَرْخ : الشّجر الذي يكون منه الزّناد ، و هو يطول في السّماء حتّى يُستظلّ به ، يضرب في نفي الجبن : أي لا أخافك .

---

[1] في نسخة"ما يوافقه" و ليس على ما ينبغي .

و مثله في قولهم :"كانت عليهم كراغية البَكر" ، و يقال أيضا "كراغية السّقب" ، يضرب في التّشاؤم بالشّيء .

و قولهم :"المكثار كحاطب ليلٍ"، يضرب للّذي يتكلّم بكلّ ما يهجس في خاطره .

- **التّشبيه المؤكّد :**

تشبيه حذفت منه أداة التشبيه ، و تأكيد التّشبيه حاصل من ادّعاء أنّ المشبّه عين المشبّه به . و قد كثر هذا اللّون من التّشبيه في الأمثال العربية مثل قولهم : " إنّه ماعز مقروظ"، الماعز : واحد المعز ، مثل صاحب و صحب ، و الماعز أيضا : جلد المعز ، قال الشّماخ :

و برديْن من خالٍ و سبعون درهما على ذاك مقروظ من القدّ ماعز

و المقروظ :المدبوغ بالقرظ . يضرب للتّام العقل الكامل الرّأي .

و هنا وقع فيه المشبّه و المشبّه به موقع المصدر المؤول المتكوّن من إنّ و اسمها و خبرها المفرد .

و قولهم :"أخذه أخذ الضّبّ ولده" ، أي أخذه أخذة شديدة ، أراد بها هلكته ، و ذلك أنّ الضّبّ يحرس بيضه عن الهوامّ ، فإذا خرجت أولاده من البيض ظنّها بعض حشائش الأرض ؛ فجعل يأخذ ولده واحدا بعد واحد و يقتله ؛ فلا ينجو منه إلاّ الشّريد .

و هنا وقع المشبّه و المشبّه به موقع جملة فعلية تتكوّن من الفعل و الفاعل و المفعول به ، و المفعول المطلق المضاف . و مثله كثير في الأمثال العربية كقولهم :"أخذه أخذ سبعة"قال الأصمعي : يعني أخذ سبعة ــ بضمّ الباء ــ و هي

اللّبؤة ، و قال ابن الأعرابي : أخذ سبعة أراد سبعة من العدد ، و قال ابن الكلبي : سبعة رجل شديد الأخذ يضرب به المثل ، و هو سبعة بن عوف بن ثعلبة بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث ، و مثله أيضا قولهم : "لأضربنّه ضرب أوابي الحمر" ، يضرب مثلا في التّهديد ، يقال : حمار آب يأبى المشي ، و حمر أواب .

و هناك ما وقع فيه المشبّه و المشبّه به موقع المبتدأ و خبره المفرد . مثل : "كلامه ريح في قفص" ، يضرب للرّجل الكذّاب الذي يتظاهر بقيمة كلامه .

و مثل :"السّفر ميزان السّفر" ، أي أنّه يسفر عن الأخلاق. و المثل القائل : "الموت حوض مورود" ، أي يشرب منه كلّ النّاس . و قولهم أيضا :"المرأة السّوء غُلّ من حديد" ، أي معاشرتها سجن .

و في قولهم :"كاد العروس يكون ملكا" ، العرب تقول للرّجل : عروس ، و للمرأة أيضا، و يراد ههنا الرّجل ، أي كاد يكون ملكا لعزّته في نفسه و أهله .و تقول العرب أيضا :"كادت الشّمس تكون صِلاء" ، و الصّلاء –بالكسر و المدّ –النّار ، و كذلك الصّلى ، بالفتح و القصر . يضرب في انتفاع الفقراء بحرّها دون النّار .

و التّشبيه المؤكّد أبلغ من التشبيه المرسل و أوجز ، و أما كونه أبلغ فلجعل المشبّه مشبّها به نفسه من غير ذكر الأداة التي تدلّ على أنّ المشبّه أضعف في وجه الشّبه من المشبّه به . و أما كونه أوجز فلحذف أداة التشبيه منه .

و التّشبيه المؤكّد ينقسم أقساما منها :

– ما يقع فيه المشبّه موقع المبتدأ و المشبّه به موقع الخبر المفرد نحو :"الدّنيا قنطرة" ، و "الدّراهم مراهم" و "إنّما السّلطان سوق" ، ففي هذه الأمثلة و أمثالها ، لا يصعب تقدير الأداة : الدّراهم كالمراهم ، و الدّنيا مثل القنطرة ، و إنّما السّلطان أشبه بالسّوق .

– و ما يقع فيه المشبّه موقع المبتدأ و المشبّه به موقع الخبر المفرد المكون من مضاف و مضاف إليه نحو :"أنت سعد ، ولكن سعد الذّابح" و نحو :"الليل جُنَّة الهارب " و هذا القسم بدوره يأتي على نوعين :

أ – إذا كان المضاف إليه معرفة كما في المثلين السابقين ، جاز لنا عند تقدير أداة التشبيه الإبقاء على المضاف إليه كما هو ، أو تقديمه على المضاف فنقول مثلا : أنت سعد ، و لكن كسعد الذّابح أو أنت الذّابح كسعد ، و نقول : الليل كجُنَّة الهارب أو الليل للهارب كجُنّة .

ب – و إذا كان المضاف إليه نكرة تعيّن تقديمه عند الأداة كقول المثل العربي : "صدر فلان سماء حلم" صدر فلان في الحلم كالسماء .

3. الصورة التشبيهية باعتبار الوجه إلى مجمل و مفصّل :

- **التشبيه المجمل :**

تشبيه لم يذكر فيه وجه الشّبه ، كقولهم :"واقية كواقية الكلاب" ، الواقية :

مصدر كالعاقبة والكاذبة ، أي وقاية كوقاية الكلاب على ولدها ، و هي أشدّ الحيوانات وقاية لأولادها ، و في الحديث "اللّهم واقية كواقية الوليد" قالوا : عنى به صلّى اللّه عليه و سلّم موسى عليه السّلام .

و المثل القائل :"هما كفرسي رهان" ، يضرب للاثنين إلى غاية يستبقان فيستويان ، و هذا التّشبيه يقع في الابتداء ، لا في الانتهاء ؛ لأنّ النّهاية تجلّى عن سبق أحدهما لا محالة .

و مثله قولهم :"هما كركبتي البعير" ، يضرب في التّساوي بين الأبناء ، فلا يُفضَّلُ أحدهما على الآخر ،ذُكر المشبّه و هم (الأبناء)، و المشبّه به (البعير) و حُذف الوجه ، و كأنّه يقول : هما كركبتي البعير في التّساوي. و قولهم :" هم كبيت الأدم" ، أي أنّ فيهم الشريف و الوضيع ، وجه الشّبه هنا محذوف و التّقدير (هم كبيت الأدم في الشّرف و الوضاعة). و المثل القائل :"هم كنعم الصّدقة" ، يضرب لقوم مختلفين . ذُكر في هذا المثل المشبّه (هم) و المشبّه به (نعم الصّدقة) و حُذف وجه الشّبه (الاختلاف) .

و يقول المثل :"ليست النّائحة الثّكلى كالمستأجرة" ، يضرب مثلا في القيام بالشّيء عن طبيعة و دون تصنّع . نجد هنا الوجه محذوفا و الأصل (ليست النّائحة الثّكلى كالمُسْتأجرة في طبيعة بُكائها .

و قولهم :"من فسدت بطانته كان كمن غُصّ بالماء" ، هذا من كلام أكثم بن صيفي ، يريد إذا كان الأمر على هذه الحالة فلا دواء له ؛ لأنّ الغاصّ بالطعام يلجأ إلى الماء ، فإذا كان الماء هو الذي يغصّه فلا حيلة له ، فكذلك بطانة الرجل و أهل

دخلته . صورة التشبيه في المثل : أنّ الذي فسدت بطانته كان كمن غُصّ بالماء لا رجاء من شفائهما .

- **التشبيه المفصّل :**

ما ذكر فيه وجه الشّبه ، كما ورد في المثل :" كصفيحة المسنّ تشحذ و لا تقطع" ، يضرب لمن يخدع و لا يحسن تصرّفه . وجه الشّبه (تشحذ و لا تقطع) .

و قولهم : " كذبالة السّراج تضيء ما حولها و تحرق نفسها" ، يضرب مثلا للذي يفيد غيره على حساب نفسه . وجه الشبه في هذه الصورة يتمثّل في (تضيء ما حولها و تحرق نفسها .

و المثل القائل :"كالخمر يُشتهى شربها و يُكره صداعها" ، يضرب مثلا لمن يخاف شرّه و يشتهى قربه . يتمثّل الوجه في قوله : (يُشتهى شربها و يُكره صُداعها) .

و تقول العرب :"كالكلب يهرّش مؤلّفه" ، يضرب مثلا لمن تحسن إليه و يذمّك .

و قولهم :"كالضّريع ، لا يسمن و لا يغني من جوع" .

و قولهم في المقام الذي يحتلّه الشيء :"كالكعبة تُزار و لا تزور" .

و يقول المثل أيضا :"كصاحب الفيل يركب بدانق و يترل بدرهم" . وجه الشّبه في صور التشبيه الأربعة الأخيرة يتمثّل في (يُهرّشُ مؤلّفه) ، (لا يسمن و لا يُغني من جوع) ، (تُزار و لا تزور) ، (يركب بدانق و يترل بدرهم) .

4 . الصورة التشبيهية باعتبار الطرفين إلى تشبيه تسوية و جمع :

- **تشبيه التسوية :**

أن يشبه شيئين أو أكثر بشيء واحد بمعنى أن يتعدد المشبه دون المشبه به يسميه البلاغيون تشبيه التسوية لأنه قد سوى بين عدة مشبهات في مشبه به واحد .

كقول القائل :

آراؤكم و وجوهكم و سيوفكم في الحادثات إذا دجون نجوم

فالمشبه متعدد و هو الآراء و الوجوه و السيوف و المشبه به واحد وهو النجوم .

و قول الشاعر :

صدغُ الحبيب و حالي كلاهما كالليالي

و ثغرهُ في صفاء و أدمعي كاللآلي

فقد شبه هذا المحبّ في البيت صدغ حبيبه و هو الشعر البادي من الرأس فيما بين الأذن و العين و حاله بالليالي ، و شبه في البيت الثاني ثغره الحبيب و هو مقدم أسنانه و دموعه المحبّ باللآلئ الصّافية و وجه الشّبه الصفاء و الإشراق ، فالمشبّه متعدّد و المشبّه به واحد .

لم يتوفّر هذا النّوع من التّشبيه في الأمثال العربية ، على عكس تشبيه الجمع .

- **تشبيه الجمع :**

أن يتعدّد المشبّه به دون المشبّه ،و قد ورد بكثرة في الأمثال العربية و منه قولهم :"كأنّ لسانه مخراق لاعب ، أو سيف ضارب" ، شُبّه اللّسان و هو(المشبّه) بشيئين : المخراق ، السّيف . أو قولهم:"كالمرأة الثّكلى ،و الحبّة على المقلى" ، يقال في الإنقطاع و القلق . فيه تشبيه المشبّه بشيئين : المرأة الثّكلى، و الحبّة على المقلى . و المثل القائل :"ينصح نصيحة السّنّور للفأر و الشيطان للإنسان" ، يضرب في تقديم النّصيحة التي فيها خداع . صورة المشبّه رُسمت في شيئين : السّنّور ، الشّيطان.

و قولهم على لسان ابن مسعود رضي اللّه عنهما :"كونوا ينابيع العلم مصابيح اللّيل" . شُبِّه العلماء بشيئين هما : ينابيع العلم ، مصابيح اللّيل .

و قيل في الأثر :"المحبّة ثمن كلّ شيء و إن غلا ، و سُلَّم إلى كلّ شيء و إن علا" ، يضرب في تحبيب المحبّة . تشبيه المحبّة بالثمن الغالي ، و السُّلّم العالي .

و نجده أيضا في قولهم :"إنّما هو الفجر أو البحر"، يضرب في الحوادث التي لا امتناع منها . المشبّه (هو) و المشبّه به الأول (الفجر) و المشبّه به الثاني (البحر)

و تشبيه الجمع في قولهم أيضا :"البطن شرّ وعاء صفرا ، و شرّ وعاء ملآن" ، يضرب للرجل الشّرير إن أحسنت إليه آذاك ، و إن أسأت إليه عاداك . فيه تشبيه البطن بشيئين (الوعاء الفارغ) و (الوعاء الملآن) .

5.الصورة التشبيهية باعتبار الطرفين إلى ملفوف و مفروق :

الطرفان إن تعددا كان ذلك على ضربين :

- **التشبيه الملفوف :**

أن يؤتى بالمشبهات أولا على طريق العطف أو غيرها ثم يؤتى بالمشبهات بهـا كذلك كقول امرئ القيس يصف عقابا بكثرة اصطياد الطيور :

كأنّ قلوبَ الطيرِ رطبا و يابسا لدى وكرها العنّابُ و الحشفُ البالي

فقد شبه الرطب من قلوب الطير بالعناب و شبه اليابس العتيق منها بالحشف البالي ، و فضيلة هذا الضرب من التشبيه اختصار اللفظ و حسن الترتيب، لأن في الجمع فائدة في المقصود من التشبيه كما هو الحال في التشبيه المركب.

أو كقول الشاعر:

ليلٌ و بدرٌ و غصنٌ شعرٌ و وجهٌ و قدٌ

و مثل قول آخر:

تبسّم و قطوب في ندى و وغى كالغيث و البرق تحت العارض البرد

وكقول الشاعر :

و ضوء الشهب فوق الليل بادٍ كأطراف الأسنّة في الدروع

مثل هذا النّوع من التشبيه لم أجد له أثرا في الأمثال العربية عكس الشّعر العربي ، باعتبار أنّ وجوده يتطلّب طول الجملة مثلما هو متمثّل في الجملة الشّعرية ، بينما نجد الجملة في المثل العربي قصيرة يكتفي فيها صاحب المثل بمشبّه و مشبّه به واحد دون أن يكثر منهما .

▪ التشبيه المفروق :

أن يؤتى بمشبه و مشبه به ثم بآخر و آخر أو "هو جمع كلّ مشبّه مع ما شبّه بـه"[1] كقول ابن سكرة :

الخدُّ وردٌ و الصّدغُ غالية و الريقُ خمرٌ و الثغر كالدُّرِ

و ورد في مجمع الأمثال قولهم : " غنى المرء في الغربة وطن ، و فقره في الوطن غربة " ، يضرب مثلا في تحبيب الأوطان وذمّ الفقر . شبّه غنى المرء في غربته وطنا ، وفقره في وطنه غربة .

و قولهم : " الرّفق يمن و الخرق شؤم " ، يضرب في الأمر بالرّفق و النّهي عن سوء التدبير . شبّه الرّفق باليُمْن و الخرْق بالشّؤم . و المثل القائل:" الحرّ عبد إذا طمع ، و العبد حرّ إذا قنع" ، يضرب مثلا في ذمّ الطّمع و تحبيب القناعة . تشبيه الحرّ بالعبد في الطّمع ، و العبد بالحرّ في القناعة .و قولهم : "الحسد في القرابة جوهر، و في غيرهم عرض "يضرب مثلا في واقع الحسد بين الأقربين. يحمل المثل صورتين تشبيهيتين ؛ حسد القرابة جوهر ، و حسد الغير عَرض .

و قولهم :" الحمد مغنم ، و المذمّة مغرم " ، يضرب في الحثّ على اكتساب الحمد تشبيه الحمد بالمغنم ، و المذمّة بالمغرم .

و قولهم :"الكلام ذكر و الجواب أنثى ، و لابدّ من النّتاج عند الازدواج " ، يضرب في الحثّ على الحوار . تشبيه الكلام بالذّكر و الجواب بالأنثى .

و قولهم :"الكذب داء و الصدق شفاء" ، يضرب في ذمّ و تحبيب الصّدق .

---

[1] عبد اللطيف شريفي و زبير درّاقي "الإحاطة في علوم البلاغة " ط1 ديوان المطبوعات الجامعية ، ط1 ، الجزائر 2004 ص 119 .

و قولهم :"كلام كالعسل و فعل كالأسل" ، يضرب في اختلاف القول و الفعل .
و مثله في قول علي بن أبي طالب :"الجاهل المتعلّم شبيه بالعالم ، و العالم المتعسّف شبيه بالجاهل . و المثل القائل :" جعل بطنه طبلا و قفاه اصطبلا" .
و ورد أيضا في قولهم :"تعاشروا كالإخوان ، و تعاملوا كالأجانب" ، أي ليس في التّجارة محاباة . و في بقية الأمثال نجد صورة التّشبيه المفروق ظاهرة .

6 . صورة التشبيه التمثيلي :

و هو ما لا يكون فيه وجه الشبه أمرا بينا بنفسه ، بل يحصل بضرب من التأول و صرف عن الظاهر ، لأنّ المشبه لم يشارك المشبه به في أبرز صفاته الظاهرة ، و إنّما شاركه في لازمها . فمدار التمثيل أن يكون وجه الشبه عقليا غير حقيقي ، ليس من المحسوس و لا من الطبائع و الغرائز ، و مثل له بقوله : حجّة كالشمس في الظهور .

فوجه الشبه لا يتحقق إلاّ بشيء من التأويل في هذا التعبير ، إذ الصفة الواضحة للشمس هي الظهور ، و وجه الشبه هو عدم المانع و ارتفاعه في كلّ .

و كلّما كانت عناصر الصورة في المركب أكثر كان التشبيه أبعد و أبلغ كقول الشاعر :

و ما المرء إلاّ كالشّهاب و ضوئه يوافي تمام الشهر ثم يغيب

فوجه الشبه (سرعة الفَناء) منتزع من أحوال القمر المتعدّدة إذ يبدو هلالا فيصير بدرا ثم ينقص حتى يدركه المحاق .

و قيّده السكاكي بكونه غير حقيقي ، و مثل بصور مثّل بها غيره أيضا منها قول ابن المعتز :

اصبر على مضض الحسود فإنّ صبرك قاتله
فالنّار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله

فإنّ تشبيه الحسود المتروك مقاولته ، مع تطلبه إياها ، لينال بها نفثة مصدور ، بالنار التي لا تمدّ بالحطب ، في أمر حقيقي منتزع من متعدّد ، و هو إسراع الفناء ، لانقطاع ما فيه مدد البقاء .

و منها قوله تعالى : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾[1].

فإنّ تشبيه حال المنافقين بحال الموصوف بصلة الموصول في الآية في أمر حقيقي منتزع من متعدد ، و هو الطمع في حصول مطلوب ، لمباشرة أسبابه القريبة ، مع تعقّب الحرمان و الخيبة ، لانقلاب الأسباب .

كما ورد في مجمع الأمثال من قول الرسول صلّى الله عليه و سلّم :

" مثل العالم كالحمّة يأتيها البعداء و يزهد فيها القرباء" و الحمّة : العين الحارة الماء و هذا مثل قولهم:" أزهد الناس في العالم أهله و جيرانه" .

ومثل قوله :"مثل المؤمن مثل الخامة من الزرع تفيئها الريح مرّة هاهنا و مرة هاهنا ، و مثل الكافر مثل الأرزة المحدبة على الأرض حتى يكون انجعافها مرّة واحدة ".فقد شبه المؤمن بالخامة التي تمليها الريح لأنّه مرزّأ في نفسه و أهله و ولده

[1] سورة البقرة الآية 17 .

و ماله ، و أما الكافر فمثل الأرزة التي لا تمليها الريح ، و الكافر لا يرزأ شيئا حتى يموت ، و إن رزئ لم يؤجر عليه ، فشبه موته بانجعاف تلك حتى يلقى اللّه بذنوبه . و قولهم :" مثل جليس السّوء كالقين إلاّ يحرق ثوبك بشرره أو يؤذيك بدخانه" . فقد شبه جليس السوء بنافخ الكير الذي يحرق ثيابك بشرره ، أو تختنق بدخانه . و المثل القائل :"كالحادي و ليس له بعير" :تشبيه بالنظر إلى طرفيه ،إما مطلقان و إما مقيدان بوصف أو إضافة أو ظرف أو حالا و نحو ذلك مما يكون له تعلّق بوجه الشبه كقولهم لمن يفخر بما ليس له كالحادي و ليس له بعير. و قد انتزع وجه الشبه مما بين الحداء و هذه الحال : " ليس له بعير " و يضرب مثلا لمن يتعظم بما لا يملك ، فقد شبه حله بحال ذلك الحادي بجامع الهيئة الحاصلة من إنسان يعمل عملا غير مفيد ، و تلك الهيئة لا تنتزع من الحادي فقط ، بل منه و من الحال التي قيّد بها : " و ليس له بعير " . .

و مثل قولهم :" أنت كمن يجمع السيفين في غمد" و يضرب مثلا لمن يحاول أن يصنع المحال . . و هو مستنبط من قول أبي ذؤيب الهذلي مخاطبا صاحبته عندما رغبت في ابن أخته خالد بن زهير ، و قد كان خالد رسوله إليها فخانه فيها ، فلما علم أبو ذؤيب بما فعل خالد قطع علاقته بها فأرسلت تترضاه ، فأبى و أنشد قائلا :

تريدين كيما تجمعيني و خالدا و هل يجمع السيفان ويلك في غمد

يريد أنّها بفعلها هذا و رغبتها الجمع بينهما كمن يحاول المستحيل ، فوجه الشبه منتزع مما بين الجمع و تعديه إلى السيفين و تقييده بالجار و المجرور: "في غمد"

و منه قولهم :"كمبتغي الصيد في عريسة الأسد" و يضرب مثلا لمن يطلب الشيء من مكان يعسرعليه أخذه منه . .

يقول الطرماح مشيدا بقوة طيء و معلنا أنّ من يتوعدهم لن يظفر بتحقيق إيعاده ، إذ يصعب أن ينال منهم نائل أو يأخذ منهم آخذ . . . يقول في ذلك :

بأطيء السهل و الأجبال موعدكم كمبتغي الصيد في عريسة الأسد

فوجه الشبه منتزع مما بين الابتغاء،و الصيد ، و الجار و المجرور:"في عريسة الأسد". و المثل القائل:"كمجير أمّ عامر" يضرب لمن يصنع المعروف في غير أهله ،وجه الشبه منتزع مما بين تقديم المعروف وتقييده بالجار و المجرور كمجير أمّ عامر .

و مثله:"كالمستغيث من الرّمضاء بالنّار"، يضرب في الخلّتين من الإساءة تجمعان على الرجل . و قولهم :"كالقابض على الماء" ، و"كالراقم في الماء" فالشبه في هذا القول منتزع مما بين القبض و الماء و الرّقم ، و ليس بمنتزع من القبض نفسه أو من الرّقم ذاته ، لأنّ فائدة القبض أن يحصل الشيء في اليد و يظلّ بها ، و فائدة الرّقم أن يبقى أثر الشيء فعندما يكون المقبوض عليه أو المرقوم عليه ماء ، فقد انتفت الفائدة من القبض و الرّقم ، فالذي يعمل عملا لا يحصل منه على فائدة ، تشبه حالته هذه فيقال :" هو كالقابض على الماء و كالراقم فيه" . و قولهم :"كالحود عن الزّبية" ، و هي حفرة يحفرها الصائد للصّيد و يغطّيها ، فيفطن الصيد لها فيحيد عنها . يضرب مثلا للرّجل يحيد عمّا يخاف عاقبته . و قولهم : كالمتمرّغ في دم القتيل " ، و قولهم :"كمستبضع التمر إلى هجر" ، و قولهم : "كالمشتري القاصعاء باليربوع" ، يضرب للذي يدع العين و يتبع الأثر ، و يؤثر ما لا يبقى على ما يبقى . و قولهم : "كالباحث عن المدية" ، و قولهم : "كالخمر يشتهى شربها و يكره صداعها" و قولهم :"كذبالة السّراج تضيء ما حولها و تحرق نفسها" ، يضرب للرجل ينفع غيره على حساب نفسه .

و قولهم :"كالنازي بين القرينين" ، و قولهم :"كذي العرّ يكوى غيره و هو راتع" ، و هو وارد في بيت النابغة في قوله :

حملت عليّ ذنبه و تركته كذي العرّ يكوى غيره و هو راتع

و قولهم :"كركبتي البعير" ، يضرب في أخذ البريء بذنب صاحب الجناية . و قولهم :"كالمشتري عقوبة بني كاهل" ، يضرب للدّاخل فيما لا يعنيه . و قولهم :"كالعلاوة بين الفودين" ، يضرب للرّجل في الحرب يكون مع القوم و لا يغنى شيئا . و قولهم : "كاللّذ تزبيّ زبية فاصطيدا" ، يضرب للرّجل يأتي الرّجل يسأله شيئا فيأخذ منه ما سأل . و قولهم : "كحماري العباديّ" ، يضرب في خلّتين إحداهما شرّ من الأخرى . و قولهم :"كالسيل تحت الدّمن"، و قولهم :"كالغراب و الذّئب" ، يضرب للرّجلين بينهما موافقة و لا يختلفان . و قولهم :"كالجراد لا يبقي و لا يذر" ، يضرب في اشتداد الأمر و استئصال القوم . و قولهم :"كراكب اثنين" ، يضرب لمن يتردّد بين أمرين ليس في واحد منهما فضل . و قولهم :"كعين الكلب النّاعس" ، يضرب للشّيء الخفيّ الذي لا يبدو منه إلاّ القليل . لأنّ النّاعس لا يغمّض جفنيه كلّ التّغميض . و قولهم :"كالمربوط و المرعى خصيب" ، يضرب للذي يقلّ حظّه مما أوتى من المال و غيره . و قولهم :"كالكلب عاره ظفره" ، أي أهلكه ، و هو مثل قولهم :"عير عاره وتده" . و قولهم :"كالبغل لمّا شدّ في الأمهار" ، يضرب لمن لا يشاكل خصمه . و قولهم :"كالحانة في أخرى الإبل" ، يضرب لمن يفتخر بمن لا يبالي به و لا يهتم لأمره . و قولهم :"كالممهورة من مال أبيها"، و أصله أنّ رجلا كانت له امرأة حمقاء ، فطلبت مهرها منه ، فترع خلخالها

و دفعه إليها ، فرضيت به . و المثل "قبل الرّماء تملأ الكنائن" ، يضرب في الأمر قبل الحاجة إليه ،و هو مثل قولهم :"قبل الرّمي يراش السّهم ".

و بهذا يتضح لنا أنّ وجه الشبه في التشبيه التمثيلي المركب قد ينتزع مما بين الفعل و الجار و المجرور كقولهم : هو كمن يخط في الماء .

أو مما بين الفعل و الفاعل و المفعول كقولهم: "أخذ القوس باريها" ، أو مما بين الفعل و مفعوليه كقوله :" أعط القوس باريها" ، أو مما بين الفعل و مفعوله و الجار و المجرور كما في قولهم : "هو كمبتغي الصيد في عريسة الأسد "، هو كمن يجمع سيفين في غمد ، فالوجه لم ينتزع مما بين الفعل و مفعوله حتى يلاحظ تقييده بالجار و المجرور ، لأن المستحيل ليس جمع السيفين ، بل جمعهما في غمد واحد و الممتنع ليس طلب الصيد ، بل طلبه من بيت الأسد .

كما قد ينتزع مما بين الحال و صاحبها كما في الآية الكريمة ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ ﴾ [1] حيث انتزع الوجه ممّا بين الحمار و الجملة الحالية"يحمل أسفارا" فلا بدّ من ملاحظة "الحمار" و الفعل"يحمل" و المحمول أسفارا" . . . .

و منه قولهم"كالحادي و ليس له بعير" ، حيث انتزع الوجه مما بين الحادي ، و الجملة الحالية : و ليس له بعير . .

[1] سورة الجمعة آية 5 .

و لتشبيه التمثيل نوعان :

- **الأول** : ما كان ظاهر الأداة نحو قوله تعالى ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ ﴾[1] . فوجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من التعب في حمل النافع دون فائدة و يشترك فيه كل من المشبه (الذين حمّلوا التوراة و لم يعملوا بها) و المشبه به (الحمار) الذي يحمل الكتب النافعة و لا يستفيد منها .

مثل هذا النوع متوفر بكثرة في الأمثال العربية التي سبق ذكرها .

- **الثاني** : هو ما كان خفي الأداة كقولك للذي يتردد في الشيء بين أن يفعله و ألاّ يفعله : "أراك تقدم رجلا و تؤخر أخرى" ، و الأصل : أراك في تردّدك مثل من يقدم رجلا مرة ثم يؤخرها مرّة أخرى . فالأداة محذوفة و وجه الشبه هيئة الإقدام و الإحجام المصحوبين بالشك .

من هنا ندرك أنّ لتشبيه التّمثيل ــ تبعا لرأي الإمام عبد القاهر ــ مواقعا و أسبابا تأثيرية تقع في الكلام على وجهين :

أولاهما : أن يجيء في أعقاب المعاني و ذلك بأن يذكر المشبّه به الذي به تمام التمثيل بعد كلام يتّضح فيه أحوال المشبّه . . . كما في قول ابن المعتزّ :

اصبر على مضض الحسود ... فإنّ صبرك قاتله

فالنّار تأكل نفسها ... إن لم تجد ما تأكله

حيث مثّلت حال الحسود يصبر على غيظه فيموت كمدا ، بحال النّار تخمد إن لم تمد بالوقود اللازم لدوام اشتعالها ، و قد ذكر المشبّه به بعد كلام بين حال المشبّه .

---

[1] نفسه .

ثانيهما : أن تبرز المعاني ابتداء في علوّ ثوب التّمثيل ، و تنقل من صورتها الأصيلة إلى صورته ، وذلك حيث يجيء التمثيل على حدّ الاستعارة فلا تذكر في الكلام حال المشبّه ، كما في قولهم يمثّلون حال المتردّد :"أراك تقدّم رجلا و تؤخّر أخرى" ، و قولهم في بيان إسناد الأمر إلى من يحسنه :"أخذ القوس باريها" و قولهم في تصوير حال من يحتال للأمر حتّى يصل منه إلى ما يريد :"مازال يفتل منه في الذروة و الغارب" . .

هذا و يبدو أثر التّمثيل واضحا جليا في إبراز تلك المعاني الممثّلة ، حيث يكتسي الكلام به أبّهة و جمالا ، و يرتفع قدره ، و تتضاعف قواه في تحريك النّفوس و إثارة الوجدان و استمالة القلوب .

يقول الإمام عبد القاهر :"و اعلم أنّ مما اتّفق العقلاء عليه أنّ التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني ، أو برزت هي باختصار في معرضه ، و نقلت عن صورها الأصيلة إلى صورته كساها أبّهة ، و كسبها منقبة ، و رفع من أقدارها ،و شبّ من نارها ، و ضاعف قواها في تحريك النّفوس لها ، و دعا القلوب إليها ، و استثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة و كلفا ، و قسر الطباع على أن تعطيها محبّة شغفا . ."[1] .

أما أسباب تأثير التشبيه التّمثيلي فترجع إلى الأمور الآتية :

- أن ينقل النّفوس من معنى خفي إلى جلي واضح ، و ذلك أن ينقلها من معنى معقول إلى معنى محسوس ، فالحسيات أقوى تأثيرا من العقليات ، و أسبق حصولا في النّفس ، و لذا كان إدراك الطفل للماديات أسبق من إدراكه للمعقولات ، و قد

[1] عبد القاهر الجرجاني "أسرار البلاغة " جـ 1 ص 225 .

اقتضى ذلك أن تزوّد كتب الأطفال بصور مرئية ، فإذا ما نضج الطفل و اعتدل تفكيره استغنى عن هذه الصور و صار قادرا على إدراك المعقولات .

و لكون الحسّيات أقوى تأثيرا في النفس من العقليات وجدنا المثل العربي يعتمد عليها ، كقولهم :"كالخروف أينما مال اتّقى الأرض بصوف" ، يضرب لمن يجد مُعتمَدا كلّما اعتمد ، و الخروف بصوفه في هذا المقام صورة مرئية يلاحظها العام و الخاص ، على عكس الصورة الخفية التي تظهر في المشبّه ، و لا تدرك إلاّ بالعقل. و قول العرب :"كالمربوط و المرعى خصيب" ، يضرب للذي يقلّ حظّه مما أوتى من المال و غيره ، و المربوط هنا وسط مرعى خصيب حالة مرئية عكس صورة المشبّه العقلية . .

- الجمع بين طرفين متباعدين ، و ذلك حيث يصوّر الشّيء في غير جنسه ، و يلتقط له وجه شبه من غير محلّته ، فيكون له من الظّرف و اللّطف ما لا يخفى ، إذ يريك المتباعدين متقاربين ، و المتنافرين متآلفين ، و كلّما كان التّباعد بين الشّيئين أشد ، كان التّشبيه ألطف و أغرب ، و أعجب و أطرب ، كما ورد في المثل العربي :"لا أكون كالضّبع تسمع اللّدم فتخرج حتّى تُصاد" ، أي لا أغفل عمّا يجب التّيقّظ فيه ، قاله أمير المؤمنين علي رضي اللّه عنه .

وقول العرب :"كالكلب يهرّش مؤلّفه" يضرب لمن تحسن إليه و يذمّك .

يقول الإمام عبد القاهر :"و ذلك أنّ موضع الاستحسان ، و مكان الاستظراف ، و المثير الدّفين من الارتياح ، و المتآلف من المسرّة و المؤلف لأطراف

البهجة . أنّك ترى بها [1] الشّيئين مثلين متباينين ، و مؤتلفين مختلفين ، و ترى الصّورة الواحدة في السماء و الأرض ، و في خلقة الإنسان و خلال الرّوض . . " [2] .

- توليد معان كثيرة و استخراجها من مصدر واحد ، و ذلك بمراعاة أحوال مختلفة يكون عليها ذاك المصدر . كاختيارهم لأحوال الجواد ميدانا لتوليد المعاني والتقاط شبه لأشياء كثيرة مثل قولهم للرّجل الجَلْد ينتكث فيضعف :"كان جوادا فخُصيَ" أو قولهم لما يكره من وجهين :"كالأشقر إن تقدّم نُحر ، و إن تأخّر عُقر" ، و مثل قولهم للمتناصيين :"كفرسي رهان" أو كاختيارهم للخروف في قولهم لمن يجد مُعتَمَدا كلّما اعتمد :"كالخروف أينما مال اتّقى الأرض بصوف" ، و قولهم لمن يتعرّض للهلاك :"كالكبش يحمل شفرة و زنادا" .

- حاجة التّمثيل في الغالب إلى إعمال الفكر و تقليب النّظر و كثرة التّأمل حتّى يتوصّل إلى المعنى المراد ، و هذا الاحتياج مردّه إلى خفاء وجه الشّبه و غموضه ، فنحن نحصله و ننتزعه من الطّرفين بتأوّل ،و صرف عن الظاهر ، و ردّ كلام إلى كلام . و ما من ريب في أنّ الشّيء إذا نيل بعد طلب له و إعمال فكر و كثرة نظر و تأمّل يكون أوقع في النّفس و أشدّ تأثيرا ، لأنّه إنّما تحصل بعد تعب و مشقّة ، فهو لهذا يؤنس النّفس ، و تجد في الوقوف عليه هزة و أريحية . . يظهر مثل هذا

---

[1] أي بهذه التشبيهات المتباعدة الأطراف .

[2] عبد القاهر الجرجاني " أسرار البلاغة " جـ 1 ص 245 ، ص 246 .

التمثيل في قول العرب عن الرّجل يقنع بالقليل :"مثل الماء خير من الماء" .
أو قولهم :"أشبه من الماء بالماء" .

و قولهم :"أشبه به من التّمرة بالتّمرة" ، كلّها تضرب في الرّجل لا يشبه أباه .
إن تشبيه التمثيل يكسب القول قوة فإن كان في المدح كان أهز للعطف و أنبل في النفس نحو:"أخذ القوس باريها" و إن كان في الذمّ كان وقعه أشد كالمثل القائل :" "كالكلب عاره ظفره" ، و إن كان وعظا كان أشفى للصدر و أبلغ في التّنبيه و الزجر نحو:"قبل الرّمي يراش السّهم " ، و إن كان افتخارا كان شأوه أبعد مثل قولهم:"كالحانة في أخرى الإبل" .

7 . صورة التشبيه المعكوس :

هو الذي يجعل فيه المشبه هو الناقص بالأصالة مشبها به، و يجعل المشبه به الذي هو الكامل بالأصالة مشبها ، و إذا جعلت كذلك صار بمقتضى أصل تركيب التشبيه الناقص كاملا و هو المشبه به لفظا ، أو بعبارة أخرى هو جعل المشبه مشبها به بادّعاء أنّ وجه الشبه فيه أقوى و أتم و أظهر . و يسميه أبو الفتح عثمان بن جنّي في كتابه الخصائص "غلبة الفروع على الأصول"

و قال :"هذا فصل من فصول العربية طريف تجده في معاني العرب كما تجده في معاني الأعراب ، و لا تكاد تجد شيئا من ذلك إلاّ و الغرض فيه المبالغة " [1] .

و قد عرض ابن الأثير في كتابه المثل السائر لهذا النوع من التشبيه و سماه " الطرد و العكس " و ذلك إذ يقول :" و اعلم أن من التشبيه ضربا يسمى الطرد

[1] ابن جني "الخصائص "ج 1 ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الكتب المصرية ، القاهرة 1953 - ص 300

و العكس ،و هو أن يجعل المشبه به مشبها ، و المشبه مشبها به ، و بعضهم يسميه غلبة الفروع على الأصول" [1] .

و العلوي صاحب الطراز يسمي هذا النوع"التشبيه المنعكس" و يقول إنّ هذا النوع يرد على العكس و الندور ، و باب التشبيه الواسع هو الاطراد ، و إنّما لقلب بالمنعكس لما كان جاريا على خلاف العادة ة الإلف في مجاري التشبيه " [2] .

و لما شاع ذلك في كلام العرب واتسع صار كأنّه هو الأصل ، و هو موضع من علم البيان حسن الموقع لطيف المأخذ ، و هذا قد ذكره أبو الفتح بن جني في كتاب الخصائص .

و قد ورد مثل هذا النوع من التشبيه في كلام العرب ؛كقول البحتري في وصف بركة المتوكل :

كأنّها حين لجّت في تدفّقها ... يد الخليفة لما سال واديها

فالشعراء اعتادوا أن يشبّهوا اليد بالجدول أو نحوه في كثرة التدفّق ، فاليد تتدفّق بالإحسان و العطاء ، و الجدول يتدفّق بالماء الذي هو حياة النفوس و الأرواح ، و لكنّنا نرى البحتري هنا عكس التشبيه ، فشبه البركة و تدفّقها بيد المتوكل ، مدعيا أنّ تدفّق العطاء في يد الممدوح أقوى و أغزر من تدفق الماء في البركة. فاستقام له بحكم هذا القصد أن يجعل الجدول و تدفقه فرعا ، و يد الخليفة و عطاءها أصلا .

---

[1] ابن الأثير" المثل السائر"ج 2 ، تحقيق أحمد الحوفي و بدوي طبانة ، نهضة مصر، القاهرة1959 ص 158 .

[2] العلوي " الطراز "ج 1 ، ص 309 .

و هذا التشبيه مظهر من مظاهر الافتنان و الإبداع ، كقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [1] .

في مقام أنّ الرّبا عندهم أحلّ من البيع ، لأنّ الغرض الرّبح و هو أثبت وجودا في الرّبا منه في البيع ، فيكون أحقّ بالحلّ عندهم . يقول الزّمخشري :" فإن قلت : هلاّ قيل إنّما الرّبا مثل البيع ؛ لأنّ الكلام في الرّبا لا في البيع ، فوجب أن يُقال : غنّهم شبّهوا الرّبا بالبيع فاستحلّوه . و كانت شبهتهم أنّهم قالوا : لو اشترى الرجل ما لا يساوي إلاّ درهما بدرهمين جاز . فكذلك إذا باع درهما بدرهمين ؟ قلتُ : جيء به على طريق المبالغة ، و هو أنّه قد بلغ في اعتقادهم في حلّ الربا أنّهم جعلوه أصلا و قانونا في الحلّ حتّى شبّهوا به البيع" [2].

فالظاهر ، كما يفهم من كلام الزمخشري ، أنّه لّما بلغ في وهم المتعاملين بالرّبا أنّه حلال ورد التّشبيه القرآني مبينا على ذلك الاعتقاد في نفوسهم و أوهامهم ،و مرتّبا عليه .

و قوله عزّ و جلّ ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [3] ، التشبيه هنا مبني أيضا على مقتضيات النّظم ، و ضرورات الكلام و أساليبه .

و نجده في المثل القائل :"ما أشبه السّفينة بالملاّح" .

---

[1] سورة البقرة: الآية 275 .

[2] الزمخشري" الكشاف" ج 1، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط 2 2003 ص 165 .

[3] سورة النّحل الآية : 17 .

8 . صورة التشبيه المجرّد :

إن المألوف في كلام العرب أن يشبهوا ما كان معنويا ، لا يدرك إلاّ بالعقل ، بما هو محسوس ومعلوم ، ما دام الغرض من التشبيه هو الكشف والإيضاح ، و قد كان من الضروري أن تقع الملاءمة بين المشبه و المشبه به على الوجه المقبول الذي يقرّب الصورة من الأذهان ، و يجلّيها في أفهام الناس و وجدانهم .

و قد يأتي التشبيه على غير هذه الصورة حين يكون المشبه به متخيّلا ، كما في قوله تعالى : ﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ ﴾ [1] ؛ حيث أنّ صورة رؤوس الشياطين فيها دلالة على التناهي في الكراهة و قبح المنظر ؛ لأنّ الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس ؛ لاعتقادهم أنّه شرّ محض لا يخلطه خير ، فيقولون في القبيح الصورة كأنّه وجه الشيطان ، كأنّه رأس شيطان . و إذا صوره المصورون جاؤوا بصورته على أقبح ما يقدّر و أهوله ، كما أنّهم اعتقدوا في المَلك أنّه خير محض لا شرّ فيه فشبّهوا به الصورة الحسنة ، و يظهر ذلك في قوله تعالى :﴿ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ [2]، وهذا تشبيه تخييلي أو مجرّد .

---

[1] سورة الصافات الآية 62 / 65 .

[2] سورة يوسف الآية 31 .

فالغاية من التشبيه المجرّد هي إثارة ذهن السامع بتلك الصورة القبيحة المهولة التي تبعث على الرهبة و الخوف أو بتلك الصورة الحسنة؛ لأنّ الأشياء المفروضة كما يرى الزمخشري ، تتخيل في الذهن تماما كالأشياء المحققة [1] .

و قد سماه المتأخرون تشبيها وهميا ؛ لأنّ المشبه به ، كما يذكر السكاكي ، نادر الحضور في الذهن و لا يتوصل إليه إلاّ بضرب من التأويل [2] و جعلوا من ذلك قول امرئ القيس :

أيقتلني و المشرفي مضاجعي و مسنونة زرق كأنياب أغوال [3]

و من أمثلته القليلة في الأمثال العربية نجد قولهم :"كأنّ وجهه مغسول بمرقة الذّئب". و مرقة الذّئب فيها إشارة إلى تلك الصورة القبيحة التي تبعث على الاشمئزاز . و مثل ذلك قولهم : "كالضّريع ، لا يسمن و لا يغني من جوع ". و الضريع طعام من شيء ليس من مطاعم الإنس ، و يكون المعنى :أنّ الطعام من ضريع غير مسمن و لا مغن من جوع ، و المثل مأخوذ من قوله تعالى :﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ [4] .فهو من العذاب ، و هذا الأخير ألوان ، و المعذّبون طبقات ؛ فمنهم أكلة الزّقوم ، و منهم أكلة الغسلين ، و منهم أكلة الضّريع [5] .

---

[1] الزمخشري " الكشّاف "ج 3 ص 250 .

[2] السكاكي "مفتاح العلوم" ص 142 و 150 و القزويني " الإيضاح" ص 223 ــ 224 .

[3] امرؤ القيس "الديوان"ط2 شرح و تقديم غريد الشيخ ،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت 2000ص 110 .

[4] سورة الغاشية الآية 6 / 7 .

[5] الزمخشري " تفسير الكشاف " : ج / 1 ص 730 .

و المثل القائل :"يا وجه الشّيطان" ، يضرب لكريه المنظر ، فصورة الشيطان نتصورها قبيحة و منها نتصور وجه هذا الإنسان .

كما يشبّهون عبادة الهوى كعبادة الإله في قولهم :"الهوى إله معبود" .

و قول العرب:"ينصح نصيحة السّنّور للفأر و الشيطان للإنسان" ، يضرب في تقديم النّصيحة التي فيها خداع . و يشبَّه السوق الذي به سلعة كاسدة يسوق الجنّة في قولهمّ"سوقنا سوق الجنّة" ، و هنا لا أحد منّا يستطيع معرفة واقع و حقيقة سوق الجنّة .و المثل القائل :" أسمج من شيطان على فيلٍ" . في هذا التشبيه صورة قبيحة المنظر ، و لو أنّنا لا نستطيع مشاهدتها بل نتخيلها باشمئزاز .

و قولهم : "كافأني مكافأة التّمساح" . و قولهم أيضا :"إنّما هو شيطان من الشّياطين" يراد به هنا النشاط و القوّة و البَطَر . و المثل القائل : "أكلة الشيطان" يضرب في كلّ شيء ذهب فلم يوجد له أثر . و قولهم :"الغضب غول الحِلْم" أي مُغْتاله و مُهْلكه . في جميع هذه الأمثال المشبّه به ورد في صور مجرّدة يمكن تخيّلها لتحقيق أبعاد الصور المختلفة .

9 . صورة التشبيه البليغ :

هو ما ذكر فيه الطرفان فقط و حذف منه الوجه و الأداة ، و سبب تسميته بذلك أنّ حذف الوجه و الأداة يوهم اتّحاد الطرفين و عدم تفاضلهما فيعلو المشبّه إلى مستوى المشبّه به و هذه هي المبالغة في قوّة التشبيه ، أما ذكر الأداة فيفيد ضعف المشبّه و عدم إلحاقه بالمشبّه به كما أنّ ذكر الوجه يفيد تقييد التشبيه و حصره في جهة واحدة ، و قد توفّر بكثرة في الأمثال العربية في :

صورة المصدر المضاف المبيّن للنّوع نحو قولهم: "أطرق إطـــراق الـــشّجاع" ، يضرب للمفكّر الدّاهي في الأمور . و قولهم:" ضربه ضـــرب غرائـــب الإبـــل" ، يضرب في دفع الظالم عن ظلمه بأشدّ ما يمكن . و المثل القائل: :"عركه عـــرْ ك الأديم". و قولهم:" عصَبه عصْب السَّلَمَة" ، و يروى "أعصبه" على وجه الأمـــر ، و هي شجرة إذا أرادوا قطعها عصَبوا أغصانها عصبا شديدا حتّى يصلوا إليها و إلى أصلها فيقطعوه . يضرب للبخيل يُستخرج منه الـــشّيء علـــى كـــره . و المثـــل القائل :"أخذه أخذ الضّبّ ولده" ، أي أخذه أخذة شديدة . و مثْله قولهم :"أخذه أخْذَ سَبُعَةٍ ، و السّبُعَةُ هي اللّبُؤةُ .

و في صورة الجملة الاسمية المتكونة من المبتدأ و الخبر نحو قولهم:"فَقْدُ الإخـــوان غربة" ، يضرب في تحبيب الأخوّة . و قولهم : "الحسد في القرابة جـــوهر ، و في غيرهم عرَضٌ" ، يضرب في نبذ الحسد بين الأقارب . و مثلـــه :"الحـــسد داء لا يبرأ" . و المثل القائل :" جعل بطنه طبلا و قفاه اصطبلا" . و قولهم أيضا:"كلامـــه ريح في قفص" ، يضرب لمن لا صحّة في حديثه . و ورد أيضا في قـــولهم :"ريـــق العذول سَمّ قاتل" . و في قول العرب :"اللّسان مركب ذَلول" ، يعني أن الإنـــسان يقدر على قول الخير و الشّرّ ، فلا يعوِّد لسانه مقالة السّوء . و في تحبيـــب صـــفة الصّبر قالوا :"الصّبر مفتاح الفرج" . و قولهم :"القُبْحُ حارس المـــرأة" . و المَثَـــل القائل :"إنّما السّلْطان سوقٌ".

كما ورد في شكل اسم كان و أخواتها و الخبر نحو:"كان ســـندانا فـــصار مطرقة" ، يضرب للذّليل يُعزُّ .

في كلّ هـذه الأمثـال نجـد أنّ التّـشبيه البليـغ تـساوى فيـه الطرفـان (المشبّه و المشبّه به) في المرتبة في غياب الأداة و وجه الشّبه .

10 . صورة التشبيه الضمني :

تشبيه لا يوضع فيه المشبه و المشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة بل يلمحان في التركيب ، و لا تبنى جملته على إحدى صور التشبيه المعروفة . و غالبا ما يكون المشبه به في التشبيه الضمني برهانا و تعليلا للمشبه.

و لقد لجأ الشعراء إلى إخفاء التشبيه و الإتيان به ضمنا حتى لا يمكن الوصول إليه و الوقوف على حقيقته دون تأمل و نظر.و هو حين يأتي على هـذا النحـو يكون له ميزتان :

الأولى :ما يتهيأ من حسن ذاتي،وذلك لما هو معروف من أنّ الشيء كلما دقّ و خفي و نيل بعد الطلب و وصل إليه بعد إعمال الفكر،كان وقعـه في الـنفس أحسن و أبلغ ، و تأثيره عليها أكبر و أفعل .

و الثانية :أنّه يبلغ في التقريب بين المشبه و المشبه به إلى الدرجة التي لا تـصل إليها صورة أخرى من صوره التي يظهر فيها طرفاه.

و لا شكّ أنّ التصرّف في التشبيه على هذا النحو كان من المسالك التي سـلكها الأدباء للتلطف في إثبات المعاني ، و إضافة خصوصية تحسب لهم في مجال الإبداع و الابتكار و التخلص من مذمّة التقليد .

و من أمثلته في الشعر العربي والذي يرتكز على الأمثال العربية قول أحدهم :

دَعْ ذا الذي ترجوه عند أرَبٍ "فتلت جلد الضّأن قلبُ المذْؤبِ"

فالبيت يرسم لنا صورة المنافق و المخادع كصورة الضّأن التي تظهر جميلة إلاّ أنّها تُخفي قلب ذئب مخادعٍ .

و يظهر أيضا في قول الشاعر :

كحنا قرينا لخبيثٍ شَنِعٍ "فالذّئب فيما قد حَكَوا للضّبُعِ"

هنا شبّه الشاعر صورة قرين السّوء بصورة معهودة تؤكّدها العلاقة التي تجمع بين الذّئب و الضّبُع .

و قول أخر :

يحسُنُ في أهل العُلا الصّنيعُ "الزّيت في العجين لا يضيعُ"

فقد شبّه الشاعر – معتمدا على المثل العربي – الإنسان الذي يحسن إلى أقاربه بالزّيت الذي يحسُنُ به العجين .

و التشبيه الضّمني وارد في قول الشاعر :

يحمي الحريمَ الشّهمُ فوقَ طُوقه "و الثّور يحمي أنفَهُ بروقِهِ"

الرّوق هو القرنُ ، شبّه الشاعر الشّهم الذي يحمي الحريم بالثور الذي يحمي أنفهُ بروْقِه ، و هنا غابت جميع أركان التّشبيه و فُهِمَت صورة التشبيه من خلال السّياق.

و ورد أيضا في قول الشاعر :

فقابلِ الشّيء بشيءٍ يُصْلَحُ "إنّ الحديد بالحديد يُفْلَحُ"

أراد الشاعر أن يقول : إنّ مثلَ الذي يستعين في الأمر الشّديد بما شَاكَلَهُ كمثل الحديد الذي لا يُفْلَحُ إلاّ بحديدٍ مثلِه .

و التشبيه الضمني في قول الشاعر :

دعْ يا رشا صُحْبَةَ ذاك الأعور "فالذّئبُ بأدو للغزال الأحْوَرِ"

حيث شبّه الإنسان الذي يصاحب عن طمع و خديعة كالذّئب الذي يختار في عَدْوه من الغزال الأحورَ .

11 . أدوات التشبيه في الأمثال العربية :

أدوات التشبيه عند البلاغيين هي كلّ لفظ يدلّ على المماثلة و الاشتراك و هي حرفان ، و أسماء و أفعال ، و كلّها تفيد قرب المشبّه من المشبّه به في صفته .

و الحرفان هما :

أ – الكاف : و هي الأصل لبساطتها ، و الأصل فيها أن يليها المشبّه به كالمثل القائل :"كالكلب عاره ظفره" أي : أهلكه ، و قولهم :"كالبغل لمّا شُدَّ في الأمهار يضرب لمن لا يُشاكل خصمه ، و تظهر أيضا في قولهم :"كالجراد لا يبقي و لا يذرُ" يُضرب في اشتداد الأمر و استئصال القوم ، و قولهم :"كالمشتري عقوبة بني كاهل" يضرب للدّاخل فيما لا يعنيه .

و قد يليها مفرد لا يتأتّى التّشبيه به، و ذلك إذا كان المشبّه به مركّبا .كالمثل القائل :"مثل العالم كالحُمّة يأتيها البعداء و يزهد فيها القرباء" ، فليس المراد تشبيه حال العالم بالحُمّة و لا بمفرد آخر يتعمّل لتقديره ، بل المراد تشبيه حال العالم في قيمته و اهتمام النّاس بعلمه بحال عين حارّة الماء يهتمّ بمائها البعداء ، و يزهد فيها القرباء .

و نحو المثل القائل :"مثل جليس السّوء كالقين إلاّ يُحرقْ ثوبك بشرره أو يُؤذيك بدخّانه" وهنا لم يُشبّه صاحب المثل الجليس بالقيّن ، و إنّما شبّه جليس السّوء

الذي يصب النّاس بلسانه بحال القيّن الذي لا تجني من الجلوس معه إلاّ إحراق ثيابك أو أن يؤذيك بدخّانه .

قال ابن فارس : و تدخل الكاف في أوّل الاسم نحو"زيد كالأسد" و أهل العربية يقيمونها مقام الاسم و يجعلون لها محلاّ من الإعراب ، و لذلك يقولون مررت بكالأسد ، أرادوا بمثل الأسد [1] .

و قد تحذف نحو :" "عركه عرْ ك الأديم" ، أي كعراك الأديم ، و نحو : "أخذه أخذ الضّبّ ولده" ، أي كأخذ الضّبّ ولده .

ب ــ كأنّ : و يليها المشبّه ، كالمثل القائل :"كأنّه النّكعة حُمرة" النّكعة : ثمرة الطرثوت ، قال الخليل : الطرثوت نبات كالقطن مستطيل دقيق يَضرب إلى الحمرة ، يبس ، و هو دباغ للمعدة منه مر و منه حلو ، يجعل في الأدوية .

و نجدها أيضا في قولهم :"كأنّه حكاية خَلْف الإزار" يضرب للقبيح .

و كأنّ حرف مركّب عند أكثر علماء اللّغة من الكاف ، و إن قالوا : و الأصل في "كأن زيدا أسد" ثم قدم حرف التشبيه اهتماما به ، ففتحت همزة "أنّ" لدخول الجار ، و ما بعد الكاف جر بها .

و قد تخفّف "كأن" في مثل قوله تعالى: ﴿ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ﴾[2]، إلاّ أنّها إذا ثقلت في مثل هذا الموضوع قرنت بها الهاء فيقال : كأنّه لم يدعنا [3] و "كأنّ" للتشبيه على الإطلاق ، و هذا هو استعمالها الغالب المتّفق عليه

---

[1] ابن فارس " الصّاحبي" ، المكتبة السلفية ، القاهرة 1910 ص 82 .

[2] سورة يونس الآية 12 .

[3] ابن فارس "الصاحبي " ، ص 133 .

من جمهور النحاة ، و زعم جماعة أنّها لا تكون للتّشبيه إلاّ إذا كان خبرها اسما جامدا أو مؤوّلا به نحو :"كأنّه سِنّورُ عبد اللّه" يضرب لمن لا يزيد سنا إلاّ زاد نقصا و جهلا ، و فيه قال المحدّث :

كسِنّور عبد اللّه بيع بدرهم صغيرا فلمّا شبّ بيع بقيراط

أما إذا كان خبرها مشتقا فإنّها في ذلك تفيد الشك و الظن و الحسبان .

نحو :"كأنّ وجهه مغسول بمرقة الذّئب". و المثل القائل :"حسبه صيدا ، فكان قيدا".

و قال بعضهم :"إذا كان خبرها فعلا أو جملة أو صفة فهي فيهن للظنّ و الحسبان ، كالمثل القائل :"كأنّ الشّمس تطلُع من حِرامه" للتّيّاه و لا تكون للتّشبيه إلاّ إذا كان مما يتمثل به ، فإن قلت : كأنّ زيدا قائم ، لا يكون تشبيها ، لأنّ الشيء لا يشبّه بنفسه ، و أكثر الناس على الأوّل ، و قالوا إنّ معنى "كأنّ زيدا قائم" تشبيه حالته غير قائم بحالته قائما .

و من الأسماء : نجد : مثل و ما في معنى مثل كلفظة"نحو" و ما يشتقّ من لفظة مثل و شبه ، نحو مماثل و مشابه و ما رادفهما كالمثل القائل :"مثل العالم كالحُمّة يأتيها البعداء ، و يزهد فيها القُرباء" ، و نحو :"همّه في مثل حدقة البعير" يضرب لمن هو في خِصْب و نَعمة ، و ذلك أنّ حدقة البعير أخصب ما فيه ؛ لأنّ بها يعرفون مقدار سمنها . و نحو :"محترس من مثله و هو حارسٌ" أي النّاس يحترسون منه و من مثله و هو حارس .

و من الأفعال : نجد : يشبه و يشابه و يماثل و يحاكي و يضارع و يضاهي . كالمثل القائل :"أشبه فُلان أُمّه" يضرب لمن يَضعف و يعجز . و نحو ـــ في شكل أسلوب

التّعجّب القياسي :"ما أشبه السّفينة بالملاّح" .و قيل :" العلماء يحاكون السّرج في الهداية و تبديد الظّلام" .

12. بلاغة الصورة التّشبيهية :

لكي يتحقّق في الصورة التشبيهية البعد الفنّي و النّفسي ، و القدرة على التّأثير و إثارة الانفعال المناسب ، لابدّ من توافر مجموعة من العناصر و القيّم الفنّية و النّفسية أهمها :

- **إفادة الصورة التشبيهية المبالغة :**

فمن أراد تشبيه شيء بغيره ــ كما يقول العلوي ــ فلابدّ :"من ان يكون المشبّه به أعلى حالا من المشبّه لتحصل المبالغة هناك"[1] ، و ذلك كما يقول الإمام عبد القاهر : لأنّ المشكوك فيه إنّما يثبت و يتقرّر في النّفس بالقياس المعروف[2] .

و إذا كان الأمر كذلك فلابدّ من تقدير لفظة "أفعل" كما هو الحال في المثال العربية نحو :"أبقى من الدّهر" ، و "أبطش من دَوْسَرُ" ، و "أثقل من ثهلان" ، و "أصفى من الدّمعة" و"من الماء" و"من عين الغراب" و"من لُعاب الجُنْدُب".

و إفادة صورة التشبيه المبالغة من أعظم مقاصده ، و لهذا لا تكاد تَجد صورة تشبيهية خالية من هذا القصد ، و كلّما كان الإغراق في الصورة التّشبيهية و الإبعاد فيها كانت أدخل في البلاغة و أوقع فيها ، و لكن ينبغي ألاّ يُؤدّي الإغراق في المبالغة إلى البعد بين المشبّه و المشبّه به ، أو إلى عدم الملاءمة بينهما ،

---

[1] العلوي "الطراز" ج /1 ، ص 206 .

[2] عبد القاهر الجرجاني "أسرار البلاغة" ، ص 202 .

و إلاّ ارتدّ التشبيه قبيحا . و من أشكال المبالغة في التّشبيه اللّجوء إلى صورة التشبيه المعكوس كقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ [1]

- أن يُمثّل الغائب الذي لا يعتاد بالظاهر المعتاد :

هذا العنصر يؤدّي إلى إيضاح المعنى و بيان المراد ، فالتشبيه كما يقول أبو هلال العسكري :"يزيد المعنى وضوحا و يكسبه تأكيدا ، و لهذا أطبق جميع المتكلّمين من العرب و العجم عليه ، و لم يستغن أحد منهم عنه . و قد جاء عن القدماء و أهل الجاهلية من كلّ جيل ما يستدلّ له على شرفه و فضله و موقعه من البلاغة بكلّ لسان" تأمّل قولهم :"ليس الخبر كالمعاينة و لا الظنّ كاليقين" فالانتقال في الشّيء عن الصفة و الخبر إلى العيان و رُؤية البصر ، ليس له سبب سوى زوال الشّكّ و الرّيب ، فالمشاهدة لها أثرها في تحريك النّفس ، و تمكين المعنى من القلب و لولا أنّ الأمر كذلك ، لما كان هناك معنى لقول أبي تمّام :

و طول مقام المرء في الحيّ مخلق لديباجتيه فاغترب تتجدّد

فإنّي رأيت الشّمس زيدت محبّة إلى النّاس أن ليست عليهم بسرمد

و ذلك أنّ هذا التّجدّد لا معنى له إن كانت الرّؤية لا تفيد أنسا من حيث هي رؤية ، و كان الأنس لنفيها الشّكّ و الرّيب ، أو لوقوع العلم بأمر زائد لم يُعْلَمْ من قبل . و لو أنّ رجلا أراد أن يضرب لك مثلا في تنافي الشّيئين فقال :"هذا و ذاك

[1] سورة البقرة الآية 275 .

لا يجتمعان؟" و اشار إلى ماء و تار حاضرين ، وجدت لتمثيله من التأثير ما لا تجده إذا أخبرك بالقول فقال : هل يجتمع الماء و النّار" .

و الذي ذهب إليه عبد القاهر الجرجاني ذهب إليه الكثير من النّقاد القدامى ـــ من الذين سبقوه أو الذين جاءوا بعده ـــ فهذا الجاحظ يقول :"الشعر صناعة و ضرب من النّسْج و جنس من التصوير"[1] ، إلاّ أنّ مفهوم التصوير الشعري عنده واسع ، لكنّه يأخذ في بعض الأحيان معنى تجسيد المعنوي في شكل أو هيئة حسّية . و يرى الزمخشري أنّ التشخيص و التّجسيد عبارة عن :"تصوير حقيقة الشيء حتى يتوهّم أنّه ذو صورة تُشاهد و أنّه مما يظهر في العيان"[2] عن طريق "إحلال طائفة من الصور الحسّية محلّ طائفة من المعاني المجرّدة . و ربط هذه الصور الحسّية بعضها ببعض برباط ذهني" على أساس أنّ المفروضات يمكن أن تتخيّل في الذهن كما تتخيّل المحقّقات[3] و أنّ له شأنا ليس في الخفي في إبراز خبيئات المعاني ، و رفع الستار عن الحقائق حتى يريك المتخيّل في صورة المتحقّق ، و المتوهّم في معرض المتيقّن ، و الغائب كأنّه مشاهد[4] فحينما يفسّر قوله تعالى :﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ ﴾[5] يرى أنّ الصورة

---

[1] الجاحظ "الحيوان" تحقيق عبد السلام هارون ، الخانجي، القاهرة 1965 . ج 3 ، ص 132 .

[2] الزمخشري "تفسير الكشاف" ج3 ص 39 .

[3] نفسه ج 2 ص 552 .

[4] نفسه ج 1 / 293 .

[5] سورة البقرة الآية 261 .

التشبيهية الواردة في الآية الكريمة نوع من التمثيل يقصد به"تصوير للأضعاف كأنّها ماثلة بين عيني الناظر"[1] .

– أن يقع بين شيئين :

و بلاغة الصورة التّشبيهية و جودتها أن تقع بين شيئين متباعدين شريطة أن يحسن التّقريب بينهما و يلطف ، و لا بدّ من التماس شبه صحيح معقول بينهما ، ثم بعد ذلك التأليف و المواءمة بينهما دون تعسّف أو قسر نحو قول علي رضي اللّه عنه :"الجاهل المتعلّم شبيه بالعالم ، و العالم المتعسّفُ شبيه بالجاهل" ، هنا وقع الشّبه بين الجاهل و المتعلّم بطريقة تحقّق فيها الجمع بين شيئين متباعدين . و قول الحسن البصري رضي اللّه عنه :"ما رأيت يقينا أشبهَ بالشّكّ من يقين الناس بالموت و غفلتهم عنه" ، فالجمع بين صورة اليقين و صورة الشّكّ تمّ بطريقة فنّية رائعة .

ـ جدّة الصورة و طرافتها :

من المُسلّم به أنّ في الجديد و الجدّة ما يروق ، و في الابتداع و الإبداع ما يُعْجب . و على هذا فجودة التشبيه و حسنه هما في تلك الصورة التي وقع عليه أصحابها على غير مثال سابق ، و هم بذلك يصلون إلى إحدى غايات الدب و هي استهواء النّفس و لذّتها ، و استمالة القلوب و استحداث حالة انتشاء فيها . و على هذا فإنّ التشبيه عندما يتضمّن عنصر الابتكار في الصورة و الجدّة و الطرافة كان أكثر تأثيرا في نفس المتلقّي من التشبيه المبتذل . و مثل هذا ما تردّد في الأمثال

[1] الزمخشري "تفسير الكشاف" ج 1 / 297 .

العربية كقولهم :"كهرّة تأكل أولادها" قاله السيد الحميري في عائشة رضي الله عنها . و قولهم في الذي هو في خصْبٍ و نَعْمَةٍ :"همّه في مثْل حدقة البعير" .

– أن تكون أطراف التشبيه من الأمور النادرة :

الصورة التشبيهية التي تعتمد على جمع النوادر طرافة تحصل فيها لذّة و متعة :"كما في تشبيه فحم فيه جمر موقد ، ببحر من المسك موجه الذهب ، لإبرازه في صورة الممتنع عادة ". و مثله في قولهم :"كأنّما فُقِئ في وجهه الرّمّان" ، و قولهم :"كحماري العباديّ" ؛ يضرب في خلّتين إحداهما شرّ من الأخرى .

– أن يجيء في الهيئات التي تقع عليها الحركات :

من بلاغة الصورة التشبيهية و جودتها أن تجيء في الهيئات التي تقع عليها الحركات سواء اقترنت بغيرها كالشكل و اللّون أو جاءت هيئة الحركة مجرّدة من غيرها . يقول عبد القاهر الجرجاني :"اعلم أنّ مما يزداد به التشبيه دقّة و سحرا : أن يجيء في الهيئات التي تقع عليها الحركات ، و الهيئة المقصودة في التّشبيه على وجهين أحدهما أن تقترن بغيرها من الأوصاف كالشكل و اللون و نحوهما . و الثاني أن تجرّد هيئة الحركة حتى لا يُراد غيرها[1] . و نجد من الأوّل المثل القائل :"كأنّه النّكْعَةُ حُمْرَة"، و النّكعة : ثمرة الطرثوث ، و هذا الأخير نبات كالقطن مستطيل دقيق يَضْرب إلى الحُمْرة ، يبس ، و هو دباغ للمعدة منه مرّ و منه حلو ، يُجْعَلُ في

[1] عبد القاهر الجرجاني "أسرار البلاغة" ، ص 16 .

الأدوية . و قولهم:"كركبتي البعير"،و في ذلك إشارة إلى الشكل المتساوي للرّكبتين .

و من الثاني قولهم :"كأنّ الشّمس تطلع من حرامه" يُقال للتّيّاه . و قولهم للسّريع السّير :"كأنّه سهم زالج ــ و يروى "زالق" ــ أو برق خاطف ، فقد شُبّهت سرعة الرّجل بحركتي السّهم أو البرق .

– أن يقع على هيئة السّكون :

يتحقّق هذا الأمر إذا دخل على هذا السّكون تركيب و تفصيل . و من لطيف ذلك قولهم للساكن الوادع :"كأنّ على رُؤوسهم الطير" ، و "إنّه لواقعُ الطّير" ؛ إذ الطيور لا تقع إلاّ على ساكن . و قولهم :"إنّه لساكن الرّيح" لأنّ معناه أنّه وقور حليم لا يتحرّك لأذى يقع عليه .

– الحصول على الإيجاز :

إنّ أفضل وسيلة يلجأ إليها الأدباء و التي تمثّل مقصدا عظيما من مقاصد البلاغة هي فضيلة الإيجاز . فمن يستقرئ الآيات القرآنية و أحاديث الرّسول صلّى اللّه عليه و سلّم و النّصوص الأدبية وجدها كلّها تعتمد على إصابة المعنى و حسن الإيجاز أو إجاعة اللّفظ و إشباع المعنى . و ليس في كلام النّاس أوجز من الأمثال ، إذ هي كلمات قليلة يسيرة ، تحمل الكثير من المعاني ، و تطوي الكثير من التّفصيلات ، و تستثير على قلّتها أحداثا تاريخية ذات وقائع متعدّدة . و هذا الإيجاز في الأمثال أبرز صفاتها ، و أخصّ خصائصها ، و به تمتاز على ما عداها من فنون الأدب ،

و من ثمّ لا يُغفله العلماء في تعريف المثل ، بل يشترطونه فيه . و من ناحية أخرى أفصح بعض العلماء عن هذه الميزة بعبارات مختلفة فقال أبو عُبيد البكري :"و الأمثال مبنية على الإيجاز و الاختصار ، و الحذف و الاقتصار"[1] و قال الزمخشري :"حيث أوجزت اللّفظ فأشبعت المعنى ، لاو قصرت العبارة فأطالت المغزى ،و لوّحت فأغرقت في التّصريح ، و كَنَتْ فأغنت عن الإيضاح"[2] فإذا نحن شبّهنا إنسانا بالأسد ، فإنّ الغرض من هذا التّشبيه في شجاعة القلب و قوّته ، و شدّة البطش و عنفه ، و القدرة على الإقدام و الافتراس و أنّ الخوف لا يعرفه ، و الذّعر لا يُخامره ، و الرّهبة لا تعرض له ، و غير تلك الصفات ، و لكنّنا نستطيع أن نستغني عن كلّ هذه الصفات بذكر لفظة المشبّه به"الأسد" فتحقق بما لجأنا إليه من التشبيه الإيجاز المنشود الذي يتسامى إليه البلغاء من الأدباء .

تأمّل المثل الذي أورده الرّسول صلّى اللّه عليه و سلّم و كيف كان الاختصار العجيب و الإيجاز البليغ في التّشبيه:"مَثَلُ المؤمن مَثَلُ الخامة من الزّرع تُفيئها الرّيح مَرَّةً ههنا و مرّة ههنا ، و مثل الكافر مَثَلُ الأرْزَة المُحْدَبة على الأرض حتى يكون انجعافها مرّة واحدة" . فقد اشتمل المثل على صورتين تشبيهيتين ؛ صورة المؤمن و تشبيهه بخامة الزّرع ، و صورة الكافر و تشبيهه بالأرزة المحدبة على الأرض بحيث لو فصّلنا في هاتين الصورتين لاحتجنا إلى شرح كبير ، مع اختصاصه بجزالة اللّفظ ،و براعة النّظم ،و بلاغة المعاني ، و حسن السّياق .

---

[1] فصل المقال 47 .

[2] مقدمة " مستقصى الأمثال " .

ثمّ تأمّل جميع الأمثال العربية فإنّها تتّسم كلّها بالإيجاز و حسن السياق مثل قولهم :"السّرّ أمانة ، العَوْدُ أحمد ، الخلاء بلاء ، و جزاء سنمّار ، فتَلَ له في الذِّروة و الغارب ، المكثار كحاطب اللّيل" وجدنا كلاّ منها ينطوي على معنى من المعاني الكلّية التي تحتاج إلى كلام كثير لبيانها و توضيحها .

و قد ذهب بعض الباحثين المعاصرين في الأمثال المولّدة ، معتمدين في ذلك على رأيٍ لبعض المستشرقين ، فذهبوا إلى أنّ معظم الأمثال التي على وزن (أفعل من) نحو :"أنوم من الفهد"،و"أنكد من تالي النّجم"،و"ألذّ من الغنيمة الباردة".. .مصنوع موضوع ، صاغه العلماء في وقت متأخّر ، ليكون سجلاّ لأنواعٍ من الثّقافات و المعارف[1] .

[1] انظر : الأمثال في النثر العربي القديم للدكتور عبد المجيد عابدين 89 ــ 97 .

الفصل الثالث

الصورة الاستعارية في المثل العربي

الصورة الاستعارية

الصورة الاستعارية المطلقة

الصورة الاستعارة المجردة

الصورة الاستعارية المرشّحة

الصورة الاستعارة التّخييلية

الصورة الاستعارية التمثيلية

الصورة الاستعارية التناسبية

بلاغة الصورة الاستعارية

1. الصورة الاستعارية :

الاستعارة هي الأصل في تطوّر اللّغة ، لأنّها الأساس في استخدام الكلمات استخداما جديدا ، ذلك أنّ الإنسان و المبدع ــ أيضا ــ عندما يتطوّر ، فيصل بإدراكه إلى الجوانب المعنوية أو يرى ــ المبدع ــ برؤيته الجمالية الواقع ، يضطرّ إلى التّعبير عن إدراكه أو تصوير رؤيته بنفس الكلمات الدالة على الأشياء الحسّية ، لأنّ اللّغة ــ في هذه ــ الحالة تقصر عن تلبية حاجاته و الوفاء بمطالب إدراكا ته و رؤيته الجمالية ، و لذلك يستخدم نفس كلمات اللّغة في سياقات جديدة ، على سبيل الاستعارة بذلك تنمو اللّغة ــ في سعيها الدّائم ــ من خلال الاستعارة ــ و من ناحية أخرى فهي القادرة على تخطّي العلاقات الحرفية بين أجزاء الواقع و من هنا فالاستعارة قادرة على صياغة الواقع من جديد ، و هي من ناحية ثالثة حلّ لمشكلة اللّغة التي تقف منطقيتها أمام تدفّق المبدع سواء أكان شاعرا أو كاتبا .

و ليست هناك مفاضلة بين أنواع الصورة ، و لكنّ الصورة تفضّل غيرها بقدر ما فيها من الدّلالات و الإيحاءات ، و تفضّل بمدى توفيق المبدع في صياغة موقفه مهما كان نوع الصّورة أو مهما كانت مصادرها التخيلية ، فقد تكون الصورة التشبيهية أكثر تصويرا من الصورة الاستعارية في سياق محدّد و العكس صحيح . و ليس معنى تفضيل الاستعارة على التّشبيه عجز التشبيه عن أداء دوره و إنّما لمرونة الاستعارة و تخطّيها للعلاقات المنطقية في الواقع و اللّغة .

و في داخل الاستعارة".. لسنا إزاء معنى حقيقي و معنى مجازي هو ترجمة للأوّل ، بل نحن ــ في الحقيقة ــ إزاء معنى جديد نابع من تفاعل السّياقات القديمة لكلّ طرف من طرفي الاستعارة ، داخل السّياق الجديد الذي وضعت فيه"[1] .

و بهذا الفهم لا تصبح الصورة الاستعارية من قبيل النّقل أو التّعليق أو الادعاء و إنّما تصبح . . عبارة عن فكرتين لشيئين مختلفين . . و يكون معناها محصّلة لتفاعلهما "[2] .

و بذلك يكون أرفع أشكال الاستعارة ما يتبادل طرفاها التأثير و التأثر ، (لا أن تقدّم علاقات حسّية)[3] و لا أن تقدّم علاقات نفسية فقط .

فدلالة الاستعارة شيء ثالث ليس دلالة أي من طرفي الاستعارة على حدة أو كما يقول أرنولد هوسر :"تنطوي كلّ صورة شعرية أصيلة على عنصر من عناصر ازدواج المعنى فالشّيئان اللّذان نعقد المقارنة بينهما في تشبيه ما أو نصل بينهما في كناية أو استعارة ، إنّما يشبهان بالأحرى شيئا ثالثا و لا يشبهان بعضهما البعض"[4] و بذلك لا تصبح الاستعارة مجرّد زينة في العبارة ، و من ثمّ لا يصبح دورها ثانويا ، و إنّما تصبح وسيلة للإدراك الجمالي،و تصبح جوهرية داخل

---

[1] نورمان فريدمان "مقال الصورة الفنّية " ترجمة جابر أحمد عصفور ، مجلّة الأديب المعاصر العدد 16 سنة 1976 .

[2] جابر أحمد عصفور "الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي"، دار الثقافة للطّباعة و النّشر ، ط 1 ، سنة 1973 ، ص 272 .

[3] محمد عبد الهادي محمود "الصورة الشعرية عند مدرسة الدّيوان"، رسالة ماجستير،آداب ــ القاهرة ، ص 109 .

[4] آرنولد هوسر "فلسفة تاريخ الفن"ترجمة رمزي عبده جرجس ، الهيئة العامة للكتب و الأجهزة العلمية ، مطبعة جامعة القاهرة ، سنة 1968 ، ص 110 ، 111 .

الإبداع الأدبي . و هي تقوم على نوع من التشخيص[1] يصعب معالجته من خلال تلك العلاقة الضّيّقة المفترضة بين المستعار و المستعار له ، و إنّما ينبغي أن يعالج من خلال مبدأ جوهري ظاهر في الصورة الاستعارية المكنية . و قد أصبح مصطلح التشخيص شبه مهجور عند النقاد المحدثين و الذي يدلّ على عملية إضفاء الحياة أو الشكل الإنساني على المعنوي المجرّد و المادي الحسّي أو الجامد[2] و قد بحث البلاغيون في دراسة دلالات مصطلح الاستعارة بغية الوصول إلى تعريف واحد . إلاّ أنّهم اختلفوا في إيجاد صياغة لهذا التعريف [3] ، و لا تجد الدراسة ضرورة في تقصّي مصطلح الاستعارة و إيراد تعريفاته منذ المحاولات الأولى على يد الجاحظ [4] ، و ابن قتيبة [5] ، و حتى استقرارها على يد عبد القاهر [6]الجرجاني ، و السكاكي ، و القزويني [7] ، و العلوي [8] .

يرى السكاكي أنّ الاستعارة "هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه و تريد به الطرف الآخر مدّعيا دخول المشبّه به دالاّ على ذلك بإثباتك للمشبّه ما يخصّ

---

[1] يُستخدم" التشخيص" مقابلا لكلمة (personnification) و هي مصطلح يستخدم للإشارة إلى خلع صفات ما هو حي أو إنساني – في الأغلب المعتاد – على الأشياء المادية أو التصورات العقلية المجرّدة راجع :
owen Thomas ," Metaphor and Related Subjects ",p .48 .

[2] Norman Freidman Imagery, P . 360 .

[3] تقصت دراسات متعددة مصطلح الاستعارة و تتبعت جذوره و أفاضت في ذكر ملامحه و سماته.و من هذه الدراسات ، ينظر:التصوير البياني،ص 240 و ما بعدها، و ينظر:فلسفة البلاغة،ص349 و ما بعدها .كما ينظر فنون بلاغية ص 122 و ما بعدها و ينظر الاستعارة في القرآن الكريم،رسالة ماجستير ص 45.و ما بعدها.

[4] ينظر: البيان و التبيين، جـ 1 / 153.

[5] ينظر: تأويل مشكل القرآن، ص 135.

[6] ينظر دلائل الإعجاز ، ص 67.

[7] ينظر الإيضاح في علوم البلاغة، ص 405.

[8] ينظر: الطراز،ج202/1.

المشبّه به" [1] ، و هو ما رآه الدكتور أحمد مطلوب تعريفا أدقّ التعريفات تحديدا و أحسنها ضبطا لأنّه حصر الاستعارتين التصريحية و المكنية في تعريفه [2] .

و مما بحث فيه البلاغيون فيه أيضا قدرة الاستعارة على إثراء اللّغة و تزويدها بالدّلالات الجديدة ذلك أنّها تنقل اللفظ من استخدامه اللّغوي المألوف و تتجه به صوب حقل جديد و في ظلّ فضاءات جديدة ،و بذلك تتّسع دائرة دلالة الألفاظ و تتنوّع و تتلوّن ، فإذا بالحرب غشوم ، و الحليم مطيّة الجهول ، و إذا بالسيف يعود إلى قرابه ، و محا السيف ما قال ابن دارة أجمعا ، و شمّر ذيلا و ادّرع ليلا ، و كثير النّصح يهجم على كثير الظّنّة ، و النّساء حبائل الشيطان .

و قد حفل المثل العربي بمثل هذه الصوّر الفنّية التي تراعي تدبيج العبارة ، و تحسين اللّفظة و تجميلها ، بالإضافة إلى سموّ الفكرة التي تحمل آفاقا إنسانية ينصت إليها العقل ، و تتفاعل معها الجوارح ، لتتحقّق الفائدة . و في هذا يقول أبو هلال العسكري :"و لمّا عرفت العرب أنّ الأمثال تتصرّف في أكثر وجوه الكلام ، و تدخل في جلّ أساليب القول أخرجوها في أقواها من الألفاظ ، ليخفّ استعمالها ، و يسهل تداولها " [3] .

و ممّا جاء على أسلوب الصورة الاستعارية بمختلف أقسامها :

---

[1] السكاكي"مفتاح العلوم " ص 599 .

[2] د .أحمد مطلوب "فنون بلاغية "، دار البحوث العلمية للنشر و التوزيع ، الكويت ، 1975 ، ص 126.

[3] مقدمة " جمهرة الأمثال" .

المثل القائل :"إنّك لا تجني من الشوك العنب" و هو قانون مطّرد من قوانين الحياة ، و جَماله في صدقه ، و في صورته التشبيهية مطلق الشر بالشوك ، لأنّ كلاّ منهما مؤذ ، و مطلق الخير بالعنب ، لأنّ كلاّ منهما له حلاوة تستطيبها النفس و تستريح إليها ، و هو في جملته إما صورة استعارية تمثيلية بحسب تركيبه اللغوي شبهت فيها حالة من يرجو الإحسان من الإساءة بحالة من يرجو يبحث عن العنب في كومة شوك .أو صورة كنائية عن صفة شدّة الحمق عند من لا يعرف حقائق الأمور فهو كمن يبحث في الماء عن جذوة نار على حدّ قول الشاعر :

و مكلف الأيام ضدّ طباعها متطلّب في الماء جذوة نار

و قول الآخر :

إياك تجني سكرا من حنظل فالشيء يرجع في المذاق لأصله

و تقول أيضا "قبل الرّماء تملأ الكنائن" يضرب في الحثّ على الاستعداد للأمر قبل الأخذ فيه فذاك أقوى الأسباب الموصولة للمطلوب . و هذه سنّة مطردة من سنن الحياة فالله قد جعل لكلّ شيء سببا ، و ربط بين الأسباب و مسبباتها ربطا حكيما . و من يطمع في المسببات ، دون الأخذ في الأسباب عظمت خيبة الرجاء عنده و في ذلك يقول مثل آخر :"قبل الرمي يراش السهم" و هما بمعنى واحد و قد نظم هذا المعنى شعرا في قول بعضهم :

ترجو النجاة و لا تسلك مسالكها إنّ السفينة لا تجري على اليبس

أما بناؤه البلاغي فهو صورة كنائية عن صفة ، و هي المبادرة إلى إعداد العدّة للأمر قبل الشروع فيه .و ورد في قولهم :"رمتني بدائها و انسلّت" فمضربه كلّ حالة تنصل جان فيها مما جناه و نسبه إلى غيره من الأبرياء ، و هذا ما أكثر وقوعه في

دنيانا ، و لو أنّ الجناة قصروا دفاعهم عن أنفسهم بنفي ما جنوه لهان الخطب ، و لكن إلصاقهم ما جنوه بغيرهم هو الداهية الدهياء .

هذا المثل على قصره بديع النّظم ، شديد الإيحاء غزير المعنى ، كثيف الظلال .

ففيه صورة استعارية ؛ استعارة "الرمي"للاتهام ، و الاتهام أمر معنوي ، أما الرمي فحسي ، و استعارة المحسوس للمعقول فيها تجسيم للمعقول حتى لكأنّه يحس و يرى و المرمى به داء فهو — إذن — رمي مهلك .

يقسم البلاغيون الاستعارة باعتبار الملائم إلى مطلقة و مجرّدة و مرشّحة .

2. الصورة الاستعارية المطلقة :

هي ما خلت من ملائمات المستعار منه و المستعار له أي (المشبه به و المشبه) ، و هي كذلك ما ذكر معها ما يلائم المستعار منه و المستعار له معا .

و قد وردت مثل هذه الصورة الاستعارية في الأمثال العربية كقول العرب في الرجل يذمّ الآخر "إنّه سمين المال ، مهزول المعروف" يحمل هذا المثل صورة استعارية مكنية ، فقد شبه المال و المعروف بحيوان ثم حذف و رمز له بشيء من لوازمه و هو سمين و مهزول و القرينة إثبات السمن للمال ، و الهزال للمعروف .

وإذا تأملنا هذه الصورة الاستعارية بعد أن استوفت قرينتها نراها خالية مما يلائم المستعار منه و المستعار له ، و لهذا فالصورة الاستعارية مطلقة .

و قولهم :"لا عيش لمن يضاجع الخوف" صورة استعارية مكنية ، شبه الخوف امرأة ، حذف المشبه به و رمز إليه بشيء من لوازمه و هو تضاجع و القرينة إثبات المضاجعة للخوف ، و هذه الصورة الاستعارية استوفت قرينتها ، لكنّها خالية مما يلائم المستعار منه و المستعار له ، و بالتالي فالصورة الاستعارية مطلقة .

و تقول العرب :"لا تلبسنّ بيقين شكّا" يحمل المثل صورة استعارية مكنية ، شبّه الشّكّ لباسا يلبس ، حذف المشبّه به و رمز إليه بلازم من لوازمه و هو تلبس و القرينة إثبات اللّبس للشّك ،و هذه الصورة الاستعارية استوفت قرينتها ، لكنّها أيضا خالية مما يلائم المستعار منه و المستعار له ، و بالتالي فالصورة الاستعارية مطلقة .

و ورد أيضا قولهم :"الدهر أبلغ في النّكير" صورة استعارية مكنية ، شبّه الدهر إنسانا بليغا ، حذف المشبه به و رمز إليه بلازم من لوازمه و هو أبلغ و القرينة إثبات البلاغة للدهر ، فالصورة استوفت قرينتها، لكنّها خالية مما يلائم المستعار منه و المستعار له، فهي صورة استعارية مطلقة .

و تظهر أيضا في قولهم :"الدهر أطرق مستتب"،و قولهم :"الدهر أنكب لا يلبّ" ، و قولهم: "الدهر أرود مستبدّ "

3. الصورة الاستعارية المجرّدة :

هي ما ذكر معها ملائم المستعار له أي (المشبه) . مثل قول خطيب بليغ : "انطلق لسانه عن عقاله فأوجز و أعجز" ففي هذا القول صورة استعارية مكنية ، فقد شبه فيها اللّسان بجمل ثم حذف المشبه به و رمز له بشيء من لوازمه

و هو انطلق من عقاله و القرينة هي إثبات الانطلاق من العقال للسان . فالصورة الاستعارية قد استوفت قرينتها ، و لكن إذا تأملناها رأينا أنّه قد ذكر معها شيء يلائم المستعار له "المشبه" و هو اللسان ، و هذا الشيء هو أوجز و أعجز و لما كان ملائم المستعار له مذكورا مع الاستعارة فالصورة الاستعارية مجرّدة .و قد ورد في المثل :"أخذت الإبل أسلحتها" ، صورة استعارية مكنية شبّهت فيها الإبل بمحاربين ثمّ حذف المشبّه به و رمز له بشيء من لوازمه و هو أخذت و القرينة هي إثبات الأخذ للإبل . فالصورة الاستعارية قد استوفت قرينتها ، و لكن إذا تأملناها و جدنا أنّه قد ذكر معها شيء يلائم المستعار و المتمثّل الأسلحة و لما كان ملائم المستعار له مذكورا مع الاستعارة فالصورة الاستعارية مجرّدة .

و قولهم :"أفرخ القوم بيضتهم" يحمل المثل صورة استعارية مكنية ، شبّه فيه القوم كالطير التي تضع بيضتها ، حذف المشبه به و رمز له بشيء من لوازمه و هو أفرخ و القرينة إثبات التفريخ للقوم و بالتالي فإنّ الصورة الاستعارية قد استوفت قرينتها ، و ذكر معها شيء يلائم المستعار له "المشبه"القوم ، و هذا الشيء هو البيضة .

و قد ورد هذا النوع أيضا في قولهم :"قتلت أرض جاهلها" ، و فيه صورة استعارية مكنية ، شبهت فيها الأرض إنسانا قاتلا ، حذف المشبه به و رمز إليه بشيء من لوازمه و هو قتل و القرينة إثبات القتل للأرض ، و بذلك تكون الصورة الاستعارية قد استوفت قرينتها ، و ذكر معها شيء يلائم المستعار له "المشبه" الأرض و المتمثل في الجهل .

4. الصورة الاستعارية المرشحة :

هي عند جمهور البلاغيين التي قرنت بما يلائم المستعار منه أي المشبّه به ، و هي عند العلوي صاحب الطّراز الاستعارة" الموشّحة " بالواو . و يعلل تّسمية هذه الاستعارة بالموشحة بأنّك إذا قلت :"رأيت أسدا وافر الأظفار منكر الزّئير دامي الأنياب" فقد ذكر اللّفظ المستعار ، و ذكرت خصائصه ، فوشّحت هذه الاستعارة ، و زينتها بما ذكرته من لوازمها و أحكامها الخاصّة ، أخذ لها من "التوشيح" ،و هو ترصيع الجلد بالجواهر و اللآلىء تحمله المرأة من عاتقها إلى كشحها ، و هذا هو الوشاح ، و اشتقاق " التوشيح" للاستعارة منه .

و مثالها قوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴾ [1] فقد شبّه سبحانه و تعالى الاختيار بجامع المبادلة في كلّ . ثمّ حذف المشبّه "الاختيار" و أقام المشبّه به مقامه "الشّراء" على سبيل الصورة الاستعارية التصريحية ، ثمّ اشتقّ من الشّراء بمعنى الاختيار الفعل "اشترى" بمعنى اختيار على سبيل الاستعارة التّبعية و قوى من الصورة الاستعارية فذكر ما يلائم المستعار منه "المشبّه به". و هو الاشتراء بقوله تعالى :(فما ربحت تجارتهم) إذ الرّبح مما يلائم الشّراء . و من أجل ذلك تسمّى الصورة الاستعارية مرشّحة . أو موشّحة عند صاحب الطّراز الذي وقف عند هذه الآية ، خاصة في قوله تعالى :(فما ربحت تجارتهم) فلما استعار لفظ الشّراء عقبة بذكر لازمه و حكمه ، و هو الرّبح ، توشيحا للاستعارة . و لو قال : فهلكوا ، أو عملوا و صمّوا عوض

[1] سورة البقرة الآية 16 .

قوله: (فما ربحت) لكان تجريدا و لم يكن توشيحا. [1]

و قد ذكر مثل هذا النّوع من الصورة الاستعارية المرشحة في أمثال العرب في قولهم في البليد :"كأنّ أذني قلبه خطلا" ، و إن جعلوه كالحمار ، ثمّ رشّحوا ذلك روما لتحقيق البلادة ، فادّعوا لقلبه أذنين ، و ادّعوا لهما الخطل ؛ ليمثّلوا البلادة تمثيلا يلحقها ببلادة الحمار مشاهدة و معاينة .

و قولهم :"ربّ كلمة تقول لصاحبها دعني" ، شبّهت الكلمة إنسانا يقول و يتحدّث إلى صاحبه ، و استعير اللّفظ الدّال على المشبّه به للمشبّه ، و حذف و رمز إليه بشيء من لوازمه و هو تقول على طريق الصورة الاستعارية المكنية المرشّحة ، و القرينة كلمة تقول ، و كلمة دعني ترشيح .

و يظهر الترشيح أيضا في قولهم :"ادفع الشّرّ عنك بعود أو عمود" ، حيث شبّه الشّرّ شيئا ثقيلا يدفع ، و استعير اللّفظ الدّال على المشبّه به للمشبّه ، و حذفه و رمز إليه بلازم من لوازمه ادفع على طريق الصورة الاستعارية المكنية المرشّحة ، و القرينة لفظة ادفع و الترشيح عود أو عمود .

5. الصورة الاستعارية التخييلية :

و هي ما كان المستعار له فيها غير محقّق لا حسّا و لا عقلا بل هو صورة وهمية محضة لا يشوبها شيء من التحقيق . أو أن يكون المتروك شيئا متوهما محضا كما إذا شبّهت المنية بالسّبع في اغتيال النفوس بالقهر و الغلبة من غير تفرقة ،

[1] العلوي "الطراز" ص238 .

تشبيها بليغا كأنّما هو ، ثمّ يتوهّم للمشبّه قوام المشبه به من لوازمه المناسبة كالأنياب فيما نحن بصدده ، ثمّ تشبه هذا المتوهّم بمثله من المحقّق ثمّ يطلق اسم المحقّق على المتوهّم ، ثمّ تضيف إلى المشبه الأول لتكون قرينة مانعة ، كما تقول أنياب المنية الشبيهة بالسبع نشبت بفلان ، أو لسان الحال الشبيه بالمتكلم ناطق بكذا. يقول أبو ذؤيب الهذلي :

و إذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كلّ تميمة لا تنفع

فإنّه لما شبه المنية بالسبع في الاغتيال أخذ الوهم يصور المنية بصورة السبع و يخترع لوازمه لها فاخترع لها مثل صورة الأظفار ثمّ أطلق على هذه الصورة لفظ الأظفار ، فتكون الأظفار عنده تصريحية تخييلية لأنّ المستعار له الأظفار صورة وهمية شبيهة بصورة الأظفار الحقيقية و قرينتها إضافتها إلى المنية ؛ و التخييلية عنده قد تكون بدون استعارة بالكناية كقولك : أظفار المنية الشبيهة بالسبع قتلت فلانا ، فقد صرّح بالتشبيه فلا مكنية في المنية مع كون الاستعارة في الاستعارة تخييلية . و عند الجمهور التخييلية لا تفارق المكنية لأنّها قرينتها .

و يظهر مثل هذا النّوع من الصورة الاستعارية في ذمّ أعرابيّ رجلا فقال :"يقطع نهاره بالمنى و يتوسّد ذراع الهمّ إذا أمسى" ، فيه تشبيه المنى بسكّين قاطع جامع الإجهاز و إنهاء المقطوع في كلّ ، و استعار اللّفظ الدّال على المشبّه به للمشبّه و حذفه و رمز إليه بشيء من لوازمه و هو يقطع على سبيل الصورة الاستعارية المكنية الأصلية المطلقة ، و يقطع صورة استعارية تخييلية .

و مثال ذلك في قولهم :"إنّ الهوى يقطع العقبة" ، حيث شبّه الهوى سكينا قاطعا ، و استعار اللّفظ الدّال على المشبّه به للمشبّه و حذفه و رمز إليه بلازم من لوازمه

و هو يقطع على سبيل الصورة الاستعارية المكنية الأصلية المطلقة ، و يقطع صورة استعارية تخييلية .

و المثل القائل :"الدّهر أبلغ في النّكير" صورة استعارية مكنية تخييليّة . شبّه فيها الدّهر إنسانا بليغا ، و استعار اللّفظ الدّال على المشبّه به للمشبّه و حذفه و رمز إليه بشيء من لوازمه و هو أبلغ . و قول العرب :"دع الشّرّ يعبر" ، حيث شبّه الشّرّ إنسانا يعبر ، و استعير اللّفظ الدّال على المشبّه به للمشبّه و حذفه و ترك لازما من لوازمه و هو يعبر ، و في ذلك صورة استعارية مكنيّة تخييلية .

و قولهم :"الخيل أعلم بفرسانها" صورة استعارية مكنية تخييلية باعتبار أنّ الخيل لا تعلم أو تعرف ، و هو لازم من لوازم المشبّه به و هو الإنسان .

6. الصورة الاستعارية التمثيلية :

من المعروف أنّ الاستعارة تنقسم من حيث الإفراد و التركيب إلى مفردة و مركبة . فالاستعارة المفردة هي ما كان المستعار فيها لفظا مفردا كما هو الحال في الاستعارة التصريحية و المكنية . أمّا الاستعارة المركّبة فهي ما كان المستعار فيها تركيبا ، و هي التي يطلق عليها البلاغيون اسم الاستعارة التمثيلية . و معناها أن يكون الجامع في حكم الواحد ، و ذلك بأن يأخذ وصف إحدى الصور بين المنتزع من أمور فتشبهه بوصف صورة أخرى تشابهه ، ثم تدخل صورة المشبه في جنس صورة المشبه به مبالغة ، فتكسوها لفظ المشبه به مبالغة من غير تغيير . فالمستعار إذا كان قولا سائرا يشبه مضربه بمورده سمي مثلا ، و إلاّ سمي تمثيلا ، و لورود الأمثال على سبيل الاستعارة لا تجد للتغيير فيها سبيلا .

قال الميداني : حقيقة المثل ما جعل كالعلم للتشبيه بحال الأول .

كما قال كعب بن زهير :

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا و ما مواعيدها إلاّ الأباطيل

قوله مواعيد عرقوب علم لكلّ ما لا يصحّ من المواعيد ، و ربّما استعمل المثل في أصله الذي كان له من الصّفة قبل النقل ، فيقال مثلك و مثل فلان أي : صفتك و صفته .أمّا المثل فعلى ضربين :

أ – أن يكون المستعار منه شيئا محققا واقعا .

كقوله صلى الله عليه و سلّم :" إنّ من البيان لسحرا"

و قولهم :" خذه و لو بقرطي جارية"

ب – أن يكون المستعار منه مقدّرا مفروضا .

كقولهم :" طارت به العنقاء".

إذا اشتهرت الصورة الاستعارية التمثيلية و كثر استعمالها سميت مثلا و لا يغير مطلقا محافظة على الاستعارة فيخاطب به المفرد و المذكر و فروعهما بطريقة واحدة من غير تغيير و لا تبديل عن مورده الأوّل و إن لم يطابق المضروب له ، و لذلك كانت هذه الصورة الاستعارية محطّ أنظار البلغاء ، لا يعدلون إلى غيرها إلاّ عند عدم إمكانها فهي أبلغ أنواع المجاز مفردا أو مركّبا ؛ إذ مبناها تشبيه التّمثيل ، حيث أنّ وجه الشّبه فيه هيئة منتزعة من أشياء متعدّدة ،و من ثمّ كانت هي و التّشبيه المبنية عليه غرض البلغاء الذين يتسامون إليه ،و يتفاوتون في إصابته ، حتّى كثر في القرآن الكريم كثرة كانت إحدى الحجج على إعجازه ، كما كثر في الأمثال العربية كقولهم:" أحشفا و سوء كيلة" يضرب هذا"المثل لمن يظلم من

جهتين" ، و بيان الاستعارة في مثل هذا أن يقال : شبّهت هيئة من يظلم من جهتين بهيئة رجل اشترى من آخر تمرا رديئا و طفف له المكيال بجامع الظلم من جهتين ، و استعير التركيب الموضوع للمشبه به للمشبه صورة استعارية تمثيلية، و هكذا يقال في سائر الأمثال النثرية والنظمية نحو:" إنّ البُغاث بأرضنا يستنسر"، حيث شبه الضعيف بالبغاث، و هو طير ضعيف واستعير التركيب الموضوع للمشبه به النسر للمشبه،وهذا المثل يضرب للضعيف يصير قويا، و للذّليل يعزّ بعد الذّل . و نحو : " ما يوم حليمة بسر"، شبه الأمر المتعالم المشهور و استعير التركيب الموضوع للمشبه به يوم حليمة للمشبه .

و قولهم :" أنت تصرخ في واد" ، في هذا المركب صورة استعارية تمثيلية ، فقد شبهت صورة من يعمل ما لا فائدة فيه بصورة من يصرخ في واد بجامع عدم الفائدة في كل ، و استعير المركب الدّال على هيئة المشبه به لهيئة المشبه على طريق الاستعارة التمثيلية . و مثله في قولهم :"لقد أسمعت لو ناديت حيّا" و هو مأخوذ من قول الشاعر :

و نار لو نفخت بها أضاءت ... و لكن أنت تنفخ في رماد

لقد أسمعت لو ناديت حيّا ... و لكن لا حياة لمن تنادي

و قولهم :" تلدغ العقرب و تصيء " : في هذا المركب صورة استعارية تمثيلية ، فقد شبهت صورة الظالم الذي يظهر في صورة المظلوم بصورة العقرب التي تلدغ و تصيء ، و استعير المركب الدال على هيئة المشبه به لهيئة المشبه على طريق الاستعارة التمثيلية .

كما وردت الصورة الاستعارية التمثيلية في قول العرب :"أنت تنفخ في واد" حيث شبهت حال من يلحّ في أمر يتعذّر نيله بحال من ينفخ في رماد بارد ، بجامع أنّ كلاّ منهما لا يحصل من عمله على مقصده ، ثمّ استعير التركيب الدّال على المشبه به للمشبّه .

و في قولهم :"لا يلدغ المؤمن من جحر مرّتين" في هذا المثل شبّهت حال من يخطئ مرّة فيستفيد من خطئه فلا يعود إليه ، بحال من لُدغ مرّة من جحر ثمّ احترس فلم يلدغ ثانية من الجحر نفسه ، بجامع أنّ كلاّ استفاد مما وقع له و جرّبه ، ثمّ استعير التركيب الدّال على المشبّه به للمشبّه على سبيل الصورة الاستعارية التمثيلية .

و تقول العرب :"قبل الرّماء تملأ الكنائن" تظهر الصورة الاستعارية التمثيلية في تشبيه حال من يريد الإقدام على أمر قبل أن يعدّ له بحال من يريد القتال و ليس في كنانته سهام ، بجامع أنّ كلاّ منهما يتعجّل الأمر قبل أن يعدّ له عدّته ، ثمّ استعير الدال على حال المشبّه به للمشبّه .

و قولهم لمن يلحّ في شأن لا يمكن الحصول منه على غية :"أنت ترقم على الماء" صورة استعارية تمثيلية ، شبّهت فيها حال من يلحّ في الحصول على أمر مستحيل ، بحال من يرقم على الماء ، بجامع أنّ كلاّ منهما يعمل عملا غير مثمر، ثمّ استعير التركيب الدّال على المشبّه به للمشبّه و قيل : " إنّك لا تجني من الشّوك العنب" يقال لمن يسيء و ينتظر حسن الجزاء ، فيه صورة استعارية تمثيلية شبّهت حال من يسيء إليك و ينتظر حسن الجزاء بحال من يزرع الشّوك و يطمع أن يجني منه عنبا ، بجامع أنّ كلاّ منهما يطمع فيما لا يكون ، ثمّ استعير التّركيب الدّال على المشبّه به للمشبّه .

كما ورد مثل هذا النّوع من الصورة الاستعارية في قولهم : "ألق دلوك في الـدّلاءّ يقال في الحثّ على الإقدام على العمل مع العاملين في ثقة ، حيث شبّهت حال من يرد الإقدام على العمل بجدّ مع العاملين بحال من يريد إلقاء دلوه مع الدّلاء لجلـب الماء ، بجامع أنّ كلاّ منهما يقبل على الأمر بجدّية ، ثمّ استعير الدّال على المشبّه به للمشبّه .

و قولهم :"لكلّ عود عصارة" العصارة : ما يخرج من الشّيء إذا عصر ، إن حلوا فحلو ، و إن مرّ فمرّ ، أي لكلّ ظاهر باطن، صورة استعارية تمثيلية شبّه فيها ظاهر الإنسان و تصرّفاته و التي تعكس أعماقه و أصله بحال العصارة حين تعـصر إن حلوا فحلو، و إن مرّ فمر ، ثمّ استعير الدّال على حال المشبّه به للمشبّه .

و قولهم :" يا طبيب طبّ لنفسك" يضرب لمن يدّعي علما لا يحسنه، فيه صـورة استعارية تمثيلية ، شبّهت حال من يدّعي علما و لا يأخذ به بحال طبيـب يـدّعي علوم الطّبّ، و لا يداوي نفسه أو غيره ، بجامع أنّ كلاّ منهما لا يستفاد ممّا يحمله أو يدّعي حمله ، ثمّ استعير الدّال على المشبّه به للمشبّه .

و نفس المعنى وارد في قولهم :"لا تنه عن خلق و تأتي مثله ، عار عليك إذا فعلت عظيم

و نجد هذا النّوع من الصورة الاستعارية في المثل القائل :"لا تحي البيض و تقتـل الفراخ" يقال لمن لا يحفظ الصغير و يضيّع الكبير ، حيث شبهت حال من يتّصف بهذه الصّفة بحال من لا يحي البيض ، و يقتل الفراخ ، ثمّ استعير الدّال على المشبّه به للمشبّه .

و قيل :"لا يضرّ السّحاب نباح الكلاب" فيه صورة استعارية تمثيلية حيث شبّه حال من يكترث ذمّ الرجل العظيم بحال الكلاب تنبح سحابا ، بجامع أنّ كليهما لا يبلغ قصده ، ثمّ استعير التّركيب الدّال على المشبّه به للمشبّه .

و قول العرب :"لا يحمد السّيف كلّ من يحمله" ، يقال لمن يتقلّد منصبا فينحطّ قدر المنصب فالتركيب كما تقول العرب ، و ما يراد من قولها ، تركيب يحمل صورة استعارية تمثيلية فيه حال من يتقلّد منصبا فينحطّ قدر المنصب ، بحال الجبان أو الجاهل بضروب القتال يحملان سيفا فلا يحسنان استعماله ، بجامع التّأثير السيئ ، ثمّ استعير التركيب الدال على المشبّه به للمشبّه ، على سبيل الصورة الاستعارية التمثيلية ، و القرينة حالية تفهم من سياق الكلام .

و قولهم :"لا تعدم الحسناء ذما" ، يقال للرجل المعروف بحميد الأخلاق تضعف نفسه فيزل أحيانا . فالتركيب كما هو ظاهر من قول العرب و ما يراد من قولها ، تركيب مجازي استعاري شبّهت فيه حال الرجل المعروف بحميد الأخلاق تضعف نفسه فيزل أحيانا ، بحال المرأة الحسناء بها صفة تنافي الجمال ، و علاقة المشابهة بين الحالين عدم الكمال في كلّ ، ثمّ استعير التركيب الدال على المشبه به للمشبّه على سبيل الصورة الاستعارية التمثيلية ، و القرينة حالية تفهم من سياق الكلام .

مثل هذا النّوع من الصورة الاستعارية أبلغ أنواع المجاز مفردا أو مركّبا إذ مبناها تشبيه التمثيل و قد عرفت دقّة مسلكه من قبل أنّ وجه الشبه فيه يكون هيئة منتزعة من أشياء متعدّدة ، فالصورة الاستعارية المبنية عليه تكون أدقّ أنواع الاستعارات ؛ إذ من الصعوبة بمكان أن تعمد إلى صورتين مركّبتين من أجزاء عدّة

فتحاول الرّبط بينهما و تحصر جهات اتحادهما و تشبه إحداهما بالأخرى فلا يخفى ما أنت محتاج إليه من المهارة حينئذ ، كمالا ينكر الأثر الذي تراه في مخاطبك إذا أدليت إليه في معرض كلامك بمثل ، فكم تجد لديه من الأريحية و كيف يغني إيجاز المثل عن الشرح و الإسهاب ؟

ثمّ إنّ النّقل و التّحوّل في الصورة الاستعارية التمثيلية و في كلّ مثل من الأمثال السابقة ليس لفظا و إنّما هيئة مركّبة أو حالة من الحالات نشبّهها بحالة أخرى ، و نعيد بعث تلك الحالة ، و إعادتها حيّة نابضة كما كانت من قبل .

7. الصورة الاستعارية التناسبية :

يلعب فيها تبادل الخصائص دوره الحقيقي ،" فالسن ــ أي القمة بالنسبة إلى الجبل مثل السن بالنسبة إلى الفم ، و نسبة الفتاة إلى صلابة جسم ذكوري كنسبة القصب ــ أي الفتاة الرشيقة إلى صلابة البلوط ، و إلاّ لن نفهم بالنسبة إلى أيّ شيء يكون القصب و الفتاة مرنين" [1]

و ليس هناك مطابقات أو احتواءات خاصة من(نوع الجنس) بل مشابهات و تعارضات . و الاستعارة التناسبية استعارة ذات أربعة عناصر ، و لا تكون ممثلة بشكل مقبول إلاّ إذا تشكلت كالتالي :

أ/ ب = ج/ د ، أي أنّ نسبة أ إلى ب كنسبة ج إلى د . المثالان المشهوران اللذان يقدّمهما أرسطو في هذا السياق هما :

---

[1] Eco (U)" Semiotics and Philosophy du Langage " , Macmillan , 1984 , P 94 .

أولا – نسبة الكأس إلى ديونيزوس كنسبة الحلقة إلى آريس .

ثانيا – نسبة الشيخوخة إلى الحية كنسبة المساء إلى اليوم فنحصل على الاستعارتين : الشيخوخة مساء الحياة و المساء شيخوخة اليوم .

و إذا نظرنا إلى العلاقة بين طرفي الصورة الاستعارية على المستوى النّظري العام ، قال القدماء: "بإلحاق الأضعف بالأقوى على وجه التّسوية بينهما" إلاّ أنّهم لم يشيروا في مقالهم أيّ الطرفين الأضعف و أيّ الطّرفين الأقوى أو ما يفيد جعل الموضوع الثاني (المشبّه به) هو الأقوى . في هذا السّياق ،و استدراكا لهذه الثّغرة ، تكون أوّل خطوة هي التّأكيد على ضرورة الحدّ من كثرة التّقسيمات البلاغية التي قدّمها القدماء حيث أرجع د . مفتاح أيّة استعارة إلى موضوع أوّل و موضوع ثان ثمّ افترض من خلال صياغة جديدة لمجموعة من الأمثلة الاستعارية العربية داخل استعارات مفهومية متضمّنة لاستعارات تعبيرية ــ أنّ "الموضوع الثاني (المشبّه به) هو المتحكّم في الموضوع الأول (المشبّه) لأنّ مقوماته يجب أن تكون أعم و أشمل لضمان الافتراق و المماثلة في آن" .

و حين أجمع القدماء على إلحاق الأضعف بالأقوى لم يبيّنوا طبيعة هذا الأقوى"أترجع قوّته إلى حسّيّته و تجذره في التّجربة الإنسانية أم تعود إلى ثراء الإمكانيات التي يتيحها؟" لم ينتبه القدماء إلى الشّقّ الثاني من السّؤال و لم يراعوا أنّ التأويل الذي يمكن أن يعطي للأقوى في هذا السّياق قد يكون "هو المتجذر في التجربة الإنسانية ، و الأكثر معرفة مهما كانت الوسيلة التي حصلت بها المعرفة سواء كانت مستفادة من الحواس أو عن طريق العقل أو الفطرة" و بسبب عدم

المراعاة هاته فقد عدّ الحسّي هو الأصل و العقلي هو الفرع مهما كان موقعه في العبارة الاستعارية .

وهي عند البلاغيين العرب تعرف بالصورة الاستعارية المكنية ، و أوّل من حدّد هذا المصطلح هو أبو يعقوب السّكاكي و قد عرّفها بقوله :"هي كما عرفت أن تذكر المشبّه ، و تريد به المشبّه به دالاّ على ذلك بنصب قرينة تنصبها ، و هي أن تنسب إليه و تضيف شيئا من لوازم المشبّه به المساوية . مثل أن تشبّه المنية بالسّبع ، ثمّ تفردها بالذّكر مضيفا إليها على سبيل الاستعارة التّخييلية من لوازم المشبّه به ما لا يكون إلاّ له ، ليكون قرينة دالّة على المراد" و ليس معنى ذلك أنّ من سبقه من النّقاد و البلاغيين لم يشر إلى هذا النّوع من الاستعارة ، لأنّ قدامة بن جعفر تحدّث عن هذا النّوع ، و إن لم يسمّه باسمه الاصطلاحي الذي عُرف به فيما بعد ، كما مثّل له الآمدي و القاضي الجرجاني ، و إن لم يشر أحدهما إلى هذه التّسمية مثلهما مثل قدامة ، و كذلك فعل عبد القاهر الجرجاني حين بيّن أنّ استعارة الاسم تأتي على قسمين ، مثّل لكلّ من نوعي الاستعارة فذكر أنّ القسم الثاني من أقسام الاستعارة – و يقصد الاستعارة المكنية – يؤخذ فيه الاسم عن حقيقته ، و يوضع موضعا لا يبيّن فيه شيء يشار إليه على النّحو ما سبق في القسم الأول .

نعود إلى عبارة السّكاكي السابقة فنقول : إنّ هذا النّوع من الاستعارة يبقى فيه المشبّه ، و يحذف المشبّه به و يحلّ المشبّه محلّه ، و ذلك عن طريق ، إثبات بعض الخواص التي تخصّ المشبّه به ، أو بعبارة أخرى الاستعارة المكنية ما يحذف فيها

المشبّه به ، و يرمز إليه بشيء من لوازمه ، حيث تضاف هذه اللّوازم إلى المشبّه ليكون هو الحال محلّ المشبّه به .

و قد حفلت الآثار الأدبية شعرا و نثرا إلى جانب القرآن الكريم و الحديث النّبوي الشّريف بهذا النوع من الصورة الاستعارية، و كان حضوره باديا في الأمثال العربية ، لتشخيص المعاني و تقريبها إلى الجمهور بطريقة فنّية غاية في الجمال . نحو قولهم :"المُلْكُ عقيم" يعني إذا تنازع قوم في مُلْك انقطعت بينهم الأرحام ، فلم يبق فيه والد على ولده،فصاركأنّه عقيم لم يولد له ، فيه صورة استعارية مكنية شبّه فيها المُلك إنسانا عقيما وحذف المشبّه به و ترك لازما من لوازمه و هو لفظة عقيم .

و قولهم :"حلب الدّهر أشطره" هذا مستعار من حلب أشطر النّاقة ، و ذلك إذا حلب خلفين من أخلافها ، ثمّ يحلبها الثانية خلفين أيضا ، و نصب" أشطره"على البدل ، فكأنّه قال : حلب أشطر الدّهر ، و المعنى أنّه اختبر الدّهر شطرى خيره و شرّه ؛ فعرف مافيه ، يضرب في من جرّب الدّهر و هو صورة استعارية مكنية شبّه فيها الدّهر ناقة تحلب ، فحذف المشبّه به و أبقى على لازم من لوازمه لفظة يحلب .و قولهم :"ألا من يشتري سهرا بنوم" ، مثل مأخوذ من قول الشاعر ذو رعين الحميري :

ألا من يشتري سهرا بنوم سعيد من يبيت قرير عين

فإمّا حمير غدرت و خانت فمعذرة الإله لذي رعين

يضرب مثلا لمن غمط النّعمة و كره العافية ، و هو عبارة عن صورة استعارية مكنية شبّه فيها السّهر شيئا يشترى ، و النّوم بالمال حذف المشبّه به ، و أبقى على لازم من لوازمه لفظة يشتري .

و قول العرب :"الحرب غشوم" لأنّها لا تنال من لم يكن لهخ فيها جناية ، و ربّما سلم الجاني ، يمثّل المثل صورة استعارية مكنية شبّهت فيها الحرب إنسانا غشوما يقتل كلّ من صادفه حذف المشبّه به و ترك صفة من صفاته لفظة غشوم .

و المثل القائل :"ربّ كلمة تقول لصاحبها دعني" ، يضرب في النّهي عن الإكثار مخافة الإهجار ، صورة استعارية مكنية شبّهت الكلمة إنسانا يقول و له صاحب ، حذف المشبّه به و ترك لازما من لوازمه كلمة تقول .

و قولهم :"الدّهر أرود مستبدّ" أي نيّن المعاملة غالب على أمره ، و هذا كقول ابن مقبل :

إن ينقض الدّهر منّي مرّة لبلى فالدّهر أرود بالأقوام ذو غير

و لفظة أرود : أي يعمل عمله في سكون لا يشعر به ، و يقال المستبدّ الماضي في أمره لا يرجع عنه . صورة استعارية مكنية شبّه فيها الدّهر شخصا مستبدّا ، حذف المشبّه به و أبقى على صفة من صفاته أرود و مستبدّ .

و مثل قولهم :"قتلت أرض جاهلها" يضرب لمن يباشر أمرا لا علم له به ، صورة استعارية مكنية شبّهت فيها الأرض إنسانا قاتلا حذف المشبّه به ، الإنسان و ترك لازما من لوازمه قتل .

و قولهم :"لسان التّجربة أصدق" ، فيه تأكيد لقيمة التجربة عند الإنسان ، صورة استعارية مكنية شبّهت فيها التجربة إنسانا له لسان صادق ، فحذف المشبّه به و ترك لازما من لوازمه لفظة لسان .

و يقول المثل أيضا:"عرف النّخل أهله" ، يضرب عند وكول الأمر إلى أهله ، صورة استعارية مكنية شبّه فيها النّخل إنسانا يتّصف بمعرفة الشيء ، حذف المشبّه به و أبقى على لازم من لوازمه لفظة عرف .

و نجدها في قولهم :"النّاس عبيد الإحسان" ، حيث شبّه الإحسان إلها يُعبد لقداسته ، حُذف المشبّه به"الإله" و جيء بلازم من لوازمه لفظة يعبد . و الصورة الاستعارية المكنية في المثل القائل :"نعم المُؤدّب الدّهر" ،و كأنّ الدّهر إنسان مُؤدّب ، حذف المشبّه به و أبقي على لازم من لوازمه و هي لفظة المؤدّب .

8. بلاغة الصورة الاستعارية :

تحقّق الصورة الاستعارية كثيرا من الأغراض التي يريدها الأديب في صناعة الكلام ، حتى لتعد من أهمّ أعمدة الكلام و عليها المعول في التّوسّع و التّصرّف ، و بها يتوصل إلى تزيين اللّفظ و تحسين النّظم و النّثر ، و من ثم التأثير في نفس المتلقي و إثارة الانفعال المناسب عنده ، و ما دامت الأمثال العربية موجّهة إلى النّاس لتحقيق الفائدة الفكرية و التربوية لابدّ أن تبرز بالصورة الفنّية المتكاملة التي تحقق الإبانة ؛ فبالاستعارة كما أشار عبد القاهر الجرجاني :"ترى المعاني الخفية بادية جلية"، و تؤكّد المعنى و تبالغ فيه ، و هي في هذا أبلغ من التشبيه لأنّ الاستعارة كمال الادّعاء بأنّ المشبّه هو عين المشبّه به ، أو هو فرد من أفراده ،

بدليل أنّك أطرحته ، و جعلت تتحدّث عنه بلفظ المشبّه به في الاستعارة التصريحية ، أو بصفات المشبّه به و لوازمه في الاستعارة المكنية .كما أنّها توجز اللّفظ لتعبّر عن المعنى الكثير باللّفظ القليل ، و هي في هذا أبلغ و أجمل من الحقيقة، كما تقوم على تحسين المعنى و تجميل المعرض ، كما هو الحال في المثل الذي أورده الرّسول صلّ اللّه عليه و سلّم "إنّ من البيان لسحرا" .و التشخيص و التّجسيد ؛ إذ تبثّ الحركة و الحياة و النّطق في الجماد ، و ذلك بإبرازها للعيان في صورة شخوص و كائنات حيّة يصدر عنها كلّ ما يصدر عن الكائنات الحيّة من حركات و أعمال كما ورد في المثل العربي :"رُبّ كلمة تقول لصاحبها دعني" .

تلك بعض الأغراض التي تحقّقها الصورة الاستعارية و التي يريدها الأديب في صناعة الكلام و تحسينه ، و من ثمّ التأثير في نفس المتلقّي و إثارة الانفعال المناسب عنده . و حتّى تقوم الصورة الاستعارية بدورها في صناعة الكلام و التأثير في نفس المتلقّي وجب أن تتوافر مجموعة من العناصر أهمّها :

– الإبانة و الإفصاح و البعد عن الخفاء و الغموض :

و يتحقّق هذا العنصر بضرورة وجود قرينة ، و ينبغي أن تكون معروفة ، لتجد سبيلها إلى القلب ، و تحدث تأثيرها في العواطف ، مثال ذلك قولهم :"إنّه سمين المال ، مهزول المعروف" يريدون الرّجل الغني قليل الإحسان .

- تهيئة الأسلوب :

من الأمور التي تجعل الصورة الاستعارية حسنة و تمكّنها من القيام بـــدورها في صناعة الكلام و التأثير في النّفس : تهيئة الأسلوب لها ، و إعداد المواضع لتقبّلـــها و نجد هذا الحسن في التركيب في قولـــه تعـــالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴾ [1] فقد شبّه سبحانه و تعالى الاختيار بجامع المبادلة في كلّ . ثمّ حذف المشبّه "الاختيار" و أقام المشبّه به مقامـــه "الشّراء" على سبيل الصورة الاستعارية التصريحية ، ثمّ اشتقّ من الـــشّراء بمعـــنى الاختيار الفعل "اشترى" بمعنى اختيار على سبيل الاستعارة التّبعية و قـــوى مـــن الصورة الاستعارية فذكر ما يلائم المستعار منه "المشبّه به". و هو الاشتراء بقولـــه تعالى :(فما ربحت تجارتهم) إذ الرّبح مما يلائم الشّراء .

- الجدّة و الابتداع :

فكلّ جديد مبتكر يروق ، وكلّ مبتدع على غير مثال سابق مبدع فيه يعجب . و قد تحدّث عن ذلك عبد القاهر الجرجاني في كتابه ـــ دلائل الإعجاز و أســـرار البلاغة ـــ كثيرا في غير موضع ، سواء كان فيما يتعلّق بالتشبيه و الاستعارة . و مما قاله في هذا الشّأن :"اعلم أنّ من شأن هذه الأجناس أن تجري فيها الفـــضيلة و أن تتفاوت التّفاوت الشّديد . أفلا ترى في الاستعارة العامي المبتذل كقولنا : رأيـــت أسدا ، و وردت بحرا ، و لقيت بدرا ، و الخاصي النّادر الذي تجده إلاّ في كـــرم

[1] سورة البقرة الآية 16 .

الفحول ، و لا يقوى عليه إلاّ أفراد الرّجال"[1] . أما الجدّة و الابتداع في الأمثال العربية متوفّرة تعكس عبقرية الإنسان العربي الذي تمرّس على تجارب الحياة فخلق جديدا مميّزا أصبح ناموسا من نواميس الحياة من مثل ذلك الأمثال التي أوردها الميداني قولهم :"شرّ السّمك يكدّر الماء" ،"شغلني الشّعير عن الشّعر ، و البُرّ عن البِرّ" ، "من عالج الشّوق لم يستبعد الدّار" .

[1] عبد القاهر الجرجاني "دلائل الإعجاز " تصحيح السيد محمد رشيد رضا ، مكتبة القاهرة ، 1961، ص 12 .

الفصل الرابع

الصورة الكنائية في المثل العربي

الصورة الكنائية

الصورة الكنائية باعتبار الصّفة

الصّورة الكنائية باعتبار الموصوف

الصّورة الكنائية باعتبار النّسبة

الصّورة الكنائية باعتبار اللّوازم

بلاغة الصّورة الكنائية

1. الصّورة الكنائية :

يقترب معنى الكناية اللغوي من معناها الاصطلاحي ، فهي لغة تعني "أنّ تتكلّم بشيء و أنت تريد غيره"[1] ، و هي اصطلاحا كما حدّدها عبد القاهر الجرجاني "أن يريد المتكلّم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللّغة ، و لكن يجيء إلى معنى هو تاليه ، و ردفه في الوجود فيومئ به إليه و يجعله دليلا عليه" [2] . و يرى صاحب الطراز مناقشا تعريف عبد القاهر الجرجاني إلى أنّ الكناية تلجأ إلى المعنى التالي وجودا للمعنى المكنّى عنه ، فيقول : "فلأنّ قوله (و يأتي بتاليه) إمّا أن يريد بتاليه مثله فهو خطأ ، فإنّ الكناية ليست مماثلة لما كان من اللّفظ الذي ترك بالكناية . لأنّ كثرة الرّماد ، ليس مماثلا لكونه كريما ، و إمّا أن يرد معنى آخر ، فيجب ذكره حتّ ننظر فيه ، إمّا بصحّة ، و إمّا بفساد" [3] .

و يمضي العلوي في مناقشة تعريف الجرجاني ، و يخلص إلى أنّ المختار عنده في بيان ماهية الكناية "أن يقال : هي اللّفظ الدال على معنيين مختلفين ، حقيقة و مجازا من غير واسطة لا على جهة التصريح" [4] .

أمّا الوظيفة التي تؤدّيها الكناية فهي وظيفة فنّية في المقام الأوّل ، إذ لا تعبّر تعبيرا تقريريا مباشرا و إنّما تلجأ إلى الأسلوب الأوفر تأثيرا و الأعمق دلالة ، لأنّ

---

[1] الفيروزابادي " القاموس المحيط "(ك ن ى) .

[2] عبد القاهر الجرجاني " دلائل الإعجاز" ص 52 .

[3] العلوي "الطراز" ج1 ص 366 – 367 .

[4] المصدر نفسه ، جـ 3 ، ص 373 .

التوظيف الكنائي مما يعزز المعنى و يقوّيه و يشدّ أزره مقارنة بالتّصريح المباشر عنه .و يقول الخطيب القزويني في هذا الشّأن "أطبق البلغاء على أنّ الكناية أبلغ من الإفصاح بالذّكر" [1] .

و يرى العلوي أنّ الكناية"واقعة من البلاغة في أعلى المراتب ، و حائزة من الفصاحة أعظم المناقب [2] .

و من وظائف الكناية"مراعاة اللّياقة . . . إذ ليس من اللاّئق أن يتكلّم أحد في المجتمعات عن أفعال معروفة بالفظاظة أو بأنّها ممّا يجرح الحياء" [3] .

و عن فوائد الكناية و التي أسماها الزركشي (794) أسباب الكناية ، منها التنبيه على عظم القدرة ، و فطنة المخاطب ، و ترك اللفظ إلى ما هو أجمل منه ، و التعبير عما يفحش ذكره في السمع بما لا ينبو عنه الطبع ، و تحسين اللّفظ ، و قصد المبالغة ، و الاختصار [4] . و تلتقي الكناية بالاستعارة في أنّ كلتيهما تلجأ إلى التعبير المجازي القائم على نقل اللّفظ إلى دائرة أخرى لم يعرف بها مع فارق شخّصه السكاكي حين قال : إنّ الكناية"لا تنافي إرادة الحقيقة بلفظها ، فلا يمتنع في قولك"فلان طويل النجاد"أن تريد طول نجاده من غير ارتكاب تأول مع إرادة طول قامته" [5]، في حين أنّ الاستعارة ليست كذلك ، فإن قلت رأيت أسدا فإنّ

---

[1] القزويني " الإيضاح " ص 468 .

[2] العلوي " الطراز"، ص 435 .

[3] د . محمد جابر الفياض "الكناية "، مجلة المجمع العلمي العراقي ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، 1986 ، ص 199 .

[4] بدر الدين الزركشي " البرهان في علوم القرآن ج2 ، ص 301 و ما بعدها .

[5] السكاكي "مفتاح العلوم" ص 638 .

كلامك – كما عبّر صاحب الطراز– متى "أفاد الحقيقة فإنّه لا يفيد المجاز ، و متى أفاد المجاز فإنّه لا يفيد الحقيقة ، بخلاف الكناية فإنّها إذا أطلقت فالمعنيان – أعني الحقيقة و المجاز – مفهومان معا ، عند إطلاقها" [1] .

هكذا نجد أنّ السكاكي و العلوي في النّصين السابقين يرجّحان حقيقة الكناية و مجازيتها في آن واحد ، إلاّ أنّ هذه الدراسة ترجّح مجازية الكناية لأنّ اللّفظ المكنّى به لا يراد منه معناه الذي شاع استعماله ، بل يراد به معنى آخر و إلاّ انتفت الكناية .فمثلا الكناية القرآنية عضّ الأصبع"ليس المراد من عضّ الظالم على يديه تلك الحركة المادية التي يمكن أن يراها الإنسان لأنّه لا قيمة لها في ذاتها و ليست بذات شأن و إنّما القيمة الحقيقية ترجع إلى ما ارتبط بهذه الحركة المادية و لازمها ، و أصبحت هي عنوانا له و رمزا عليه في عرف المتكلّمين باللغة ، و نعني به الإحساس بالنّدم و التّحسّر على ما فات [2] . هكذا تكون الدلالة المجازية هي الغاية المبتغاة ـــ و على هذا الأساس ـــ يتحدّد مسار الدراسة الكنائية في هذا الفصل .

و للكناية و التعريض فضل كبير في تصوير المعاني ، و تشخيصها في مناظر تتألّق رونقا و جمالا ، هذا فضلا عن أنّهما يسعفان الإنسان حينما يريد التلويح لا التصريح ،و الإبهام لا الإفصاح .

---

[1] العلوي "الطراز " ص 376 – 377 .

[2] د . شفيع السيد" التعبير البياني ، رؤية بلاغية و نقدية " ، دار غريب للطباعة، القاهرة ، 1977 ، ص 144 .

و هي بطبيعة منطلقها أدنى إلى السّوية الفنّية ؛ إذ أنّها تجعل للخيال حضورا على العقل و تمثّل الانفعال في حدود حسّية تدعنا نبصر المشاعر و الأفكار بقدر ما نفهمها .

كما أنّ الكناية كالاستعارة من حيث قدرتها على تجسيم المعاني و إخراجها صورا محسوسة تزخر بالحياة و الحركة و تبهر العيون منظرا . و لعلّ أسلوب الكناية هو الأسلوب الوحيد الذي يستطيع المرء به أن يتجنّب التصريح بالألفاظ الخسيسة أو الكلام الحرام .

و قد أوضح الإمام عبد القاهر الجرجاني بلاغة هذين الأسلوبين بقوله :"إنّا نراهم كما يصنعون في نفس الصّفة بأن يذهبوا بها مذهب الكناية و التعريض ، كذلك يذهبون في إثبات الصفة هذا المذهب ، و إذا فعلوا ذلك بدت هناك محاسن تملأ الطّرف ، و دقائق تعجز الوصف ، و رأيت هناك شعرا شاعرا ، و سحرا ساحرا ، و بلاغة لا يكمل لها إلاّ الشاعر المفلق ، و الخطيب المصقع ، و كما أنّ الصّفة إذا لم تأتك مصرّحا بذكرها ، مكشوفا عن وجهها ، و لكن مدلولا عليها بغيرها ، كان ذلك أفخم لشأنها ، و ألطف لمكانها ، كذلك إثبات الصّفة للشّيء تثبتها له ، إذا لم تلقه إلى السامع صريحا ، و جئت إليه من جانب التعريض و الكناية ،و الرّمز و الإشارة ، كان له من الفضل و المزية ، و من الحسن و الرّونق ، ما لا يقلّ قليله ، و لا يجهل موضع الفضل فيه" [1] .

[1] عبد القاهر الجرجاني "دلائل الإعجاز" ص 236 – 237 .

و لتوضيح الصورة الكنائية في المثل نقول : إنّ قولهم :"بلغ السيل الــزّبى" ، يراد به الأمر يبلغ غايته في الشّدّة و الصعوبة ، و لكنّ المتكلّم أخفى هذا المعــنى ، و لم يستخدم الألفاظ التي وضعت له في اللّغة ، و كنّى عنه بالألفاظ الــتي جــاء عليها المثل .

و قولهم:"تسألني برامتين سلجما" يضرب في الرّجل الذي يلتمس مــا لا يجــد ، و هو معنى أخفاه المتمثّل ، ثمّ كنى عنه بحالة تلك المرأة التي كانت مع زوجهــا في قفرة من الأرض، لا تنبت السلجم ، و طلبت منه أن يحضر لها هذا النبات .

و قولهم :"لا أفعل ذلك ما دام السّعدان مستلقيا" يريدون به عدم الفعــل أبــدا ، و لكنّهم كنوا عن ذلك بالسّعدان ، لا ينمو إلاّ مستلقيا مفترشــا علــى وجــه الأرض ،و لا ينهض على ساق أبدا .

و هكذا كلّ الأمثال ، لا يصرّح فيها بالمعاني المرادة ، و هي مضاربها ، و إنّما يكنى عنها بعبارات و ألفاظ تفيد معاني أخرى ، و هي مواردها و أصولها . و تكتسب المعاني المرادة من الأمثال بهذه الكناية وضوحا و إشراقا ، و تكتسي حللا زاهيــة من الجمال و البهاء .

أما من حيث تقسيم الكناية ، فقد قسّمها السكاكي على أساس المعنى المكنّى عنه إلى كناية عن موصوف و كناية عن صفة و كناية عن نسبة ، و قد سمّى الأقــسام الثلاثة على التوالي : طلب نفس الموصوف و طلب نفس الصفة و تخصيص الصفة .

بالموصوف [1]. و هو مما يمكن الإفادة منه . و نحن بصدد النظر في الكنايات المتمثّلة في الأمثال العربية .

2. الصورة الكنائية باعتبار الصفة :

معناها أن يذكر في الكلام صفة أو عدّة صفات بينها و بين صفة أخرى تلازم و ارتباط ، بحيث ينتقل الذهن بإدراك الصفة أو الصفات المذكورة إلى الصفة المكنّى عنها المرادة .

وظّف هذا النوع من الصور الكنائية بكثرة في الأمثال العربية لتحقيق الغاية الجمالية بعيدا عن التصريح و التجريح ، ما دام المثل يحمل قيّما إنسانية سامية هادفة ، كقولهم : "مات وهو عريض البطان" ، صورة كنائية عن صفة انتفاخ البطن و سعته ، و البطان للبعير بمنزلة الحزام للفرس ، يضرب لمن مات و ماله جمّ لم يذهب منه شيء .

و مثل قولهم :"مات فلان ببطنته لم يتغضغض" منها شيء ، صورة كنائية عن صفة عدم النقصان ، يقال غضغضه فتغضغض أي نقصه فنقص ، من الغضاضة و هي النقصان و قد يضرب هذا المثل في أمر الدّين ، يقال إنّك خرجت من الدنيا سليما لم يثلم دينك و لم يكلم . و قولهم : "الولد للفراش و للعاهر الحجر" ، اسم الفراش يستعار لكلّ واحد من الزوجين ، و العاهر : الزاني ، و المرأة عاهرة ، و الحجر : صورة كنائية عن الخيبة ، و يجوز أن تكون صورة كنائية عن الرّجم . يضرب لمن يرجع خائبا باستحقاق .

---

[1] السكاكي " مفتاح العلوم " ص 638 .

و قولهم :"هل يخفى على النّاس القمر" : صورة كنائية عن صفة و هي الشهرة ، يضرب للأمر المشهور . و قولهم :"اقشعرت منه الذوائب": صورة كنائية عن صفة الخوف ، يضرب مثلا للجبان . و الصورة الكنائية في قولهم:"قد ألقى عصاه" : صورة كنائية عن صفة و هي الاستقرار ، يضرب مثلا للاستقرار بعد سفر .

و في قولهم:"قلب له ظهر المجنّ" : صورة كنائية عن صفة و هي الرجوع عن العهد ، يضرب مثلا لمن كان لصاحبه على مودّة و رعاية ثمّ حال عن العهد .

و قولهم :"بلغ السيل الزّبى"صورة كنائية عن صفة ، و هي مجاوزة الحد ، يضرب مثلا لمن تجاوز حدّه ، و مثله "بلغ السّكين العظم"، و مثلهما" بلغ منه المخنّق" ، و المخنّق هو الحنجرة و الحلق ،صورة كنائية عن صفة و هي بلوغ الجهد.و نجدها أيضا في قولهم :"جاوز الحزام الطّبيين" صورة كنائية عن صفة ، و هي بلوغ الشّدّة منتهاها ، يضرب مثلا للمجاوزة ، وللفرس ، يضرب لمن مات و ماله جمّ لم يذهب منه شيء.

و ورد هذا النّوع من الصورة الكنائية في قول العرب :"رجع على حافرته" أي الطريق الذي جاء منه ، و أصله من حافر الدّابة ، كأنه رجع على أثر حافره ، أمّا الصّفة المكنى عنها فهي الرجوع إلى عادة السّوء . و نفس المعنى يحمله المثل القائل :"رجع على قرواه" ؛ أي على عادته ، يضرب لمن يرجع إلى طبعه و خلقه .

و قول العرب :"إذا رآني رأى السّكين في الماء"صورة كنائية عن صفة الخوف الشديد .

و قولهم :"أكل عليه الدّهر و شرب" صورة كنائية عن صفة طول العمر . يريدون أكلَ و شربَ دهرا طويلا .

و أورد الميداني قول الشاعر :

كم رأين من أناس قبلنا شرب الدهر عليهم و أكل

و قولهم :"أنت بين كبدي وخلّي" صورة كنائية عن الحبّ و الاعتزاز و المرض إذ لا يكون بين الكبد و الحجاب الحاجز- الخلب – إلاّ من كان عزيزا محبوبا .

و المثل القائل :"بينهم داء الضرائر" يكنّون به عما بينهم من عداء مستمر فداء الضرائر ليس غير ما بينهنّ من عداء مستمر و خصومات لا تنقطع .

و نجد الصورة الكنائية في المثل القائل :"إنّها منّي لأصرّى" ، يضرب للرّجل يعزم على أمر ، صورة كنائية عن صفة و هي اليمين أو العزيمة .

و أيضا في قولهم :"سوقنا سوق الجنّة" صورة كنائية عن صفة و هي الكساد .

و قولهم :"السّودان بالتّمر يصطادون" صورة كنائية عن صفة حبّ التّمر .

و ورد أيضا في قولهم :"جاء على غبيراء الظّهر" ، و الغبيراء : تصغير الغبراء و هي الأرض ن أي جاء و لا يصاحبه غير أرضه التي يجيء و يذهب فيها ، صورة كنائية عن صفة و هي الخيبة .

و المثل القائل :"يقلّب كفّيه" ، صورة كنائية عن صفة و هي النّدم ، و هو مقتبس من القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا﴾[1] .

و مثل قولهم :"يقدّم رجلا و يؤخّر أخرى" ، فيه صورة كنائية عن صفة و هي التّردّد .

[1] سورة الكهف الآية 42 .

3. الصورة الكنائية باعتبار الموصوف :

و هي الصورة التي لا يراد بها صفة و لا نسبة ، بل يكون المكنيّ عنه موصوفا ، إما معنى واحدا"كموطن الأسرار"كناية عن القلب ، كما في قول الشاعر :

فلمّا شربناها و دبّ دبيبها إلى موطن الأسرار قلت لها قفي

و إمّا مجموع معان كقولك : جاءني حيّ مستوي القامة عريض الأظفار ، كناية عن الإنسان لاختصاص مجموع هذه الأوصاف الثلاثة به ،و نحو :

الضاربين بكلّ أبيض مخذم و الطاعنين مجامع الأضغان

و يشترط في هذا النّوع من الصورة الكنائية أن تكون الصفة أو الصفات مختصّة بالموصوف ، و لا تتعدّاه ليحصل الانتقال منها إليه .

و قد كثر مثل هذا النوع من الصورة الكنائية في الأمثال العربية ، كما في قول العرب:"صهب السّبال"صورة كنائية عن موصوف ، و هم الأعداء ، يضرب مثلا للأعداء و إن لم يكونوا كذلك .

و قولهم :"صمّي ابنة الجبل ، مهما يقل تقل"صورة كنائية عن موصوف ، و هو الصّدى أو الصوت الذي يجيبك من الجبل و غيره ، و الداهية يقال لها ابنة الجبل أيضا ، و أصلها الحيّة فيما يقال ، يضرب مثلا للإمّعة الذليل .

و قولهم :" تركته تغنّيه الجرادتان"صورة كنائية عن موصوف ،و يتمثل في قينتي معاوية بن بكر أحد العماليق ، و إن عادا لما كذّبوا هودا عليه السلام .

و قولهم :"عبيد العصا"صورة كنائية عن موصوف ، و هم بنو أسد ، و هؤلاء أخرجتهم بنو كنانة من مكة بعصيّة التي أعتقتهم و بالعصيّ التي أخذوها ،وهذا المثل يضرب للذليل الذي نفعه في ضرّه و عزّه في إهانته .

و الصورة الكنائية عن موصوف في قولهم :"وقعوا في أمّ عبيد تصايح حيّاتها " و هي الفلاة ، و المراد هنا الوقوع في داهية .

و قولهم :"صدقته الكذوب" صورة كنائية عن موصوف ؛إذ الكذوب هي النفس .

و قول العرب:"رماه اللّه بأفعى حارية" صورة كنائية عن موصوف وهو الموت الحتمي ؛ إذ الأفعى الحارية هي القصيرة التي لا تبقي لديغها ، بل تقتل من ساعتها .

و يقول المثل أيضا :"رماه اللّه بليلة لا أخت لها" صورة كنائية عن موصوف و هي اللّيلة التي يموت فيها .

و قول المثل:"ذهب منه الأطيبان" صورة كنائية عن موصوفين هما لذّة النّكاح و الطعام ، إذا كبر الإنسان . و قول العرب:"إذا قلت له زن ، طأطأ رأسه و حزن" صورة كنائية عن موصوف و هو الرّجل البخيل . و المثل القائل :"تركته يقاس بالجذاع" صورة كنائية عن موصوف و هو الرّجل المسنّ . وأيضا في قولهم :"سلّط اللّه عليه الأيهمين" و يقال "الأعميين" صورة كنائية عن موصوف و هما السّيل و الجمل الهائج .

و مثلها في قول العرب :"يعيش المرء بأصغريه"، و الأصغران هما القلب و اللّسان .

4. الصورة الكنائية باعتبار النسبة :

و ذلك بأن يريد المتكلم إثبات صفة لموصوف معين أو نفيها عنه ، فيترك إثبات هذه الصفة لموصوفها ، و يتثبتها لشيء آخر شديد الصلة و وثيق الارتباط بـــه ، فيكون ثبوتها لما يتصل به دليلا على ثبوتها له . . كقولهم في مقام المدح :" المجد بين ثوبيه و الكرم بين برديه"أرادوا نسبة المجد و الكرم له ، فعدلوا عن التصريح بذلك إلى جعل المجد بين ثوبيه و الكرم بين برديه ، ليفهم المخاطب إثباتهما للممدوح ، إذ ليس بين البردين أو الثوبين سواه ، فالتعبير كناية عن نـــسبة المجـــد و الكـــرم إلى الممدوح . . .

و قول أبي نواس :

فما جازه جود و لا حلّ دونه و لكن يسير الجود حيث يسير

كنى عن نسبة الجود إلى الممدوح بإثباته للمكان الذي يوجد به و يحل فيه ، فـــلا يتجاوزه و لا يحلّ دونه . . . و يلاحظ ما في البيت من خيال بديع ، حيث صور لنا الجود في صورة حي متحرّك يسير لسير الممدوح ، و يسكن لسكونه . . .

و كقول زياد الأعجم في مدح عبد الله بن الحشرج ـــ و كان أمير نيسابور ـــ :

إنّ السماحة و المروءة و النّدى في قبّة ضربت على ابن الحشرج

فإنّه أراد أن يثبت هذه الصّفات خلالا للممدوح لكنّه لم يصرّح بذلك فيقول : إنها لمجموعة فيه أو مقصورة عليه أو نحو ذلك بل عدل إلى ما أنت تراه فجعلها في قبة مضروبة عليه ليمكّنه أن يثبّتها للممدوح بطريق الكناية . لأنّه إذا أثبت الأمـــر في مكان الرجل و حيزه فقد أثبت له .

و قولهم : "مثلك لا يبخل" ، كنوا عن نفي البخل عنه و تأكيد هذا النّفي بنفيه عن نظيره المشارك له في أخصّ صفاته ، لأنّ نفي البخل عن هذا المماثل يستلزم تأكيد نفيه عن المخاطب.

و قولهم :"العرب لا تخفر الذمم" يريدون نفي ذلك عن العربي ، لأنّه إذا نفى عن العرب نقض العهد ،فقد نفى عنه إذ هو واحد منهم .

و قولهم :"أيفعت لداته و بلغت أترابه" ، كناية عن نسبة اليفاعة و البلوغ إليه بنسبتها إلى أقرانه و نظرائه.

و قولهم :"ماله ستر و لا عقل" كناية عن نسبة ؛ إذ نسبت قلّة الحياء إلى الستر أو الثوب .

و تتمثل أيضا في قولهم :"نعلك شرّ من حفاك فاتّرك" نسبت الاستعانة بمن لا يعنيه و لا يهتمّ بشأنه إلى النّعل ، و لم يذكر صاحبه .

وفي قولهم :"ثوبك لا تقعد تطير به الريح" كناية عن نسبة ؛ حيث نسب حفظ النفس إلى الثوب ، يضرب مثلا في التحذير من الوقوع في الخطأ .

و قولهم :"أوسع القوم ثوبا" : كناية عن نسبة و المتمثلة في الثوب الذي هو نسبة من صاحبه ،و المراد أكثر القوم معروفا و أطولهم يدا . و يشبه ذلك المثل القائل : "فلان طاهر الذيل ، و نقي الثوب" ، صورة كنائية عن نسبة ؛ حيث أنّ العفاف و الطهر نسبا إلى الذيل و الثوب اللّذين تلازمهما عادة صفة العفاف و الطهر .

5. الصورة الكنائية باعتبار اللوازم :

تنقسم الصورة الكنائية باعتبار اللوازم أو الوسائط إلى أقسام أربعة :

تعريض ، تلويح ، رمز ، إيماء و إشارة .

و قال السّكاكي : الكناية تتفاوت إلى تعريض ، و تلويح ، و رمز ، و إيماء ، و إشارة [1] .

أ – تعريض :

و هو خلاف التصريح و اصطلاحا ما أشير به إلى غير المعنى بدلالة السياق كما تقول : المسلم من سلم المسلمون من لسانه و يده ، فالمعنى الأصلي انحصار الإسلام فيمن سلم الناس من يده و لسانه و المعنى الكنائي اللازم للمعنى الأصلي انتفاء الإسلام عن المؤذي مطلقا و هو المعنى المقصود من اللّفظ و يشير بسياقه إلى نفي الإسلام عن المؤذي الذي تكلّمت عنه . و مثله ما روي عن النّبي صلّى اللّه عليه و سلّم :" من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه" ، والمعنى في المثل انحصار حسن إسلام المرء فيمن يترك ما لا يعنيه .و مثله قوله أيضا :"الكيِّس من دان نفسه و عمل لما بعد الموت" .و كقول الشاعر :

إذا الجود لم يرزق خلاصا من الأذى فلا الحمد مكسوبا و لا المال باقيا

و في المثل نجد قول العرب :"سبّك من بلّغك السّبا" ؛ إذ السّباب خصلة ذميمة و يعادلها الذي واجهك بما قفاك به غيرك من السّبّ فهو سابّ ،و القائل لهذا المثل لم يصرّح بذلك ، بل لجأ إلى التّعريض .

---

[1] القزويني الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب ص : 281 .

و قولهم :"السعيد من وعظ بغيره" ، أي ذو الجدّ من اعتبر بما لحق غيره من المكروه فيجتنب الوقوع في مثله ، و القائل هنا لجأ إلى التعريض .

و ورد هذا النّوع أيضا في قول العرب :"اسمع ممّن لا يجد منك بدّا" ، يضرب في قبول النّصيحة ، أي اقبل نصيحة من يطلب نفعك ؛ نعني الأبوين ، و من لا يستجلب بنصحك نفعا إلى نفسه بل إلى نفسك . فالقائل لم يصرّح بهم و إنّما وظّف التعريض .

و قولهم أيضا :"السّليم لا ينام و لا ينيم" ، يضرب لمن لا يستريح و لا يريح ، و في ذلك تعريض .

ب – تلويح :

و هو لغة أن تشير إلى غيرك من بعد و اصطلاحا كناية كثرت فيها الوسائط بين اللازم و الملزوم،أو هو الذي كثرت وسائطه بلا تعريض ،نحو : "أولئك قوم يوقدون نارهم في الوادي"صورة كنائية عن بخلهم فلقد انتقل من الإيقاد في الوادي المنخفض ، إلى إخفاء النيران و من هذا إلى عدم رغبتهم في اهتداء ضيوفهم إليها ، و من ذا إلى بخلهم ، و نحوه ما تقدّم من قول الشاعر :

و ما بك فيّ من عيب فإنّي جبان الكلب مهزول الفصيل

كنّى عن كرم الممدوح بكونه جبان الكلب مهزول الفصيل فإنّ الفكر ينتقل إلى جملة وسائط .

و قد ورد مثل هذا النوع من الصورة الكنائية في الأمثال العربية في قولهم :

" انج سعد فقد هلك سعيد" ، يضرب للفشل أو الظفر بالبغية ، يمثّل صورة كنائية عن الفرار و الهرب ، و هي من نوع التلويح لكثرة الوسائط فيها؛ إذ ينتقل الذهن

من قولهم هذا إلى السبب الباعث على ذلك و هو الخوف من الفتك بهم ، و من ذا إلى أخذ عدّتهم للهرب تباعدا عن التنكيل بهم ، إلى الهرب و هو المراد .

و قولهم :"ذهبوا تحت كلّ كوكب" ، يضرب للقوم إذا تفرّقوا ، يمثل المثل صورة كنائية عن التّفرقة ، و هي من نوع التلويح لكثرة الوسائط فيها ؛ و هنا تمّ الانتقال من الاختلاف إلى التّباعد كتباعد الكواكب ، و من هذا إلى التفرّق .

و يقول المثل:"عصا الجبان أطول" ، فيه تلويح ؛ إذ طول العصا يؤدّي إلى رهبة العدوّ و خوفه ، و هو ما لا يؤدّيه قصرها .

ج – رمز :

و هو لغة أن تشير إلى قريب منك خفية بشفة أو حاجب كما قال الشاعر :

رمزت إليّ مخافة من بعلها من غير أن تبدي هناك كلامها

و اصطلاحا هو كناية قلّت وسائطها مع خفاء اللّزوم نحو : هو غليظ الكبد كناية عن القسوة ، إذ ذاك تتوقّف على معرفة ما كان يعتقده العرب من أنّ الكبد موضع الإحساس و التأثر فيلزم من رقّته اللّين و من غلظه القسوة . و قول العرب :" مات و هو عريض البطان" صورة كنائية عن صفة انتفاخ البطن و سعته ، يضرب مثلا لمن مات و ماله جمّ لم يذهب منه شيء .

و قول العرب :"جاء ناشرا أذنيه" ، صورة كنائية تحمل رمزا عن الطمع .

و قولهم :"جعل كلامي دبر أذنيه" صورة كنائية عن عدم الالتفات و التغافل عنه .

و نجد هذا النّوع من الصورة في وصف أعرابيّ رجلا بسوء العشرة فقال :"كان إذا رآني قرّب من حاجب حاجبا ".

و يقول المثل :" جاء بأذني عناق" و العناق هو الداهية ، و هو ههنا الكذب و الباطل رمز إلى الكذب و الخيبة . و مثله في قولهم :"جاء بقرني حمار" صورة كنائية فيها رمز يؤدي إلى صفتين ذميمتين هما الكذب و الباطل. و قولهم:" جاء و قد قرض رباطه" ، و الرّباط : ما يربط أي يشدّ به الدابة و غيرها ، و الجمع ربط ، و قرض أي قطع و أصله في الظبي يقطع حبالته فيفلت فيجيء مجهودا ، يضرب لمن هو في حاله . و أيضا في المثل :"عين بذات الحبقات تدمع" يضرب لمن له غنى و خيره قليل صورة كنائية تحمل رمزا يتمثّل في قلّة الماء في العين . و نجد هذا النّوع من الصورة الكنائية التي فيها رمز في المثل القائل :"جاء نافشا عفريته" ، رمز للغضب ، و العفرية : عرف الدّيك ، و كذلك العفراء .

و في قولهم :"جاء ترعد فرائصه" ، و الفريصة : لحمة بين الثّدي و مرجع الكتف ، و هما فريصتان ، إذا فزع الرّجل أو الدّابة أرعدتا منه ، و هنا صورة كنائية فيها رمز إلى الخوف و الفزع .

د – إيماء و إشارة :

و هي كناية قلّت وسائطها مع وضوح الدلالة كقول أبي تمام يصف إبله مادحا أبا سعيد :

أبين فما يزرن سوى كريم و حسبك أن يزرن أبا سعيد

و قول البحتري يمدح آل طلحة :

أو ما رأيت المجد ألقى رحله في آل طلحة ثمّ لم يتحوّل

صورة كنائية عن كونهم أمجادا أجوادا بغاية الوضوح .

و من لطيف ذلك قول بعضهم :

سألت النّدى و الجود مالي أراكما تبدّلتما ذلاّ بعزّ مؤبّد
و ما بال ركن المجد أمسى مهدّما فقال أصبنا بابن يحي محمّد
فقلت فهلاّ منّا عند موته كنتما عبديه في كلّ مشهد
فقالا أقمنا حيّ نعزّى بفقده مسافة يوم ثمّ نتلوه في غد

و قد ورد مثل هذا النوع من الصورة الكنائية في الأمثال العربية ، مثل قولهم :"جلدها بأير ابن ألغز" قال أبو اليقظان : هو سعد بن ألغز الإيادي ، جاهلي يضرب به المثل في الجلد و العقاب مع بلوغ المراد ، صورة كنائية عن المرأة و هي إذا جلدت بمثل ذلك لا تتألّم .

و قولهم :"حتى يجيء نشيط من مرو" و نشيط غلام لزياد بن أبي سفيان ، و كان بنّاء هرب قبل أن يشرف وجه دار زياد ، و كان لا يرضى إلاّ عمله ، فيه صورة كنائية تشير إلى كلّ عمل لا يتمّ .

و وردت في قول العرب :"عند جهينة الخبر اليقين" صورة كنائية فيها إشارة إلى الحقيقة بذكر اسم جهينة .

و المثل القائل :"أنا ابن جلا" فيه إشارة إلى الشّهرة ، و المثل من قول سحيم ابن وثيل الرّياحي :

أنا ابن جلا و طلاّع الثّنايا متى أضع العمامة تعرفوني

و ابن جلا رجل تمثّل به الحجاج على منبر الكوفة .

و الإشارة واردة في قولهم :"جاء بصحيفة المتلمّس" صورة كنائية عن الدّهاء .

و قولهم :"كلّ فضل من أبي كعب درك" ،يضرب للرّجل يطلب المعروف من الرّجل اللّئيم الذي لا يبضّ حجره فينيله قليلا فيشكو ذلك ، فيقال له هذا ، أي هو لئيم فقليله كثير . و هنا إشارة إلى اللّؤم .

و قول العرب :"تذريع حطّان لنا إنذار" و التذريع : أن يصفّر بالزّعفران أو الخلوق ذراع الأسير علامة منهم على قتله ، و كانوا يفعلونه في الجاهلية ، و حطّان اسم رجل ، فيه إشارة إلى إظهار البشاشة و إضمار خلاف ذلك .

و يقول المثل أيضا :" سهمك يا مروان لي شبيع" ، السّهم الشبيع : القاتل ، يضرب لسفيه يتبذّى على حليم ، و في ذلك صورة كنائية فيها إشارة إلى مواجهة الأعداء الحقيقيين ، ليسوا كمن واجههم مروان .

6. بلاغة الصّورة الكنائية :

أسلوب الصورة الكنائية في البلاغة العربية من أهمّ الأساليب التي يلجأ إليها الأدباء ، كما أنّ عناية علماء النّقد و الأدب قد بلغت بهذا الفن حدّا كبيرا ، فلا يكاد يخلو أثر من الآثار الأدبية و النقدية من الكلام عن الصورة الكنائية و بلاغتها ، و ما يحققه أسلوبها من غايات و آثار نفسية أهمّها :

- إثبات المعنى و المبالغة فيه :

و هو من الغايات الجمالية و الآثار النّفسية التي يهدف إليها الأدباء من لجوئهم إلى الصّورة الكنائية ، و فيه مزيّة لا تكون للتّصريح و ذلك عن طريق إثبات الصّفة بإثبات دليلها و إيجادها بما هو شاهد في وجودها و بحيث لا يشكّ

فيه ، و مثل هذا التّعبير آكد و أبلغ في الدّعوى و أثبت من إثبات المعنى بنفسه .فالمثل القائل :"جبان الكلب مهزول الفصيل" يحمل صورتين كنائيتين عن صفة الكرم و صفة الجود ،لأنّ الكلب لا يجبن إلاّ من كثرة الضّيوف ، و من عادة الكلب ان يشدّ كلّ قادم و أن ينبحه و لا يكفّ ، إلاّ انّ كثرة الطارقين و اتّصال نهرهم و زجرهم ، خرج بالكلب عن طبعه و جبلّته ، فليس الجبن تطبّعا كما يقولون ، و ليس وراء الخروج عن الطّبْع مبالغة في صفات الكرم و الضّيافة .

و مثل جبان الكلب ، مهزول الفصيل ، و الفصيل هو المولود تفصله عن النّاقة فلا ترضعه فيهزل و يضعف ، و الفصال له مواقيت معلومة ، و لكن الحال هنا على غير ذلك . لأنّ الأمر منوط بالضّيف ، إذا حلّ بالرّجل قام إلى الناقة فنحرها ، لا يرحم فصيلها ، و اتّصال الضيف فيه اتّصال النّحر ، و فيه اتّصال البهزال في كلّ فصيل عنده من أيّ جنس كان (ولد بقرة أو ناقة) و هذا كلّه صورة كنائية عن خلق الكرم و حسن الضيافة .

- التلميح و أثره في النّفس :

و يتمثّل هذا البعد النّفسي في الخفاء و السّتر الذي يصطنع إسداله الأديب على المعنى الذي يريده أساسا مع التلويح و الإشارة إليه ، إذ أنّ ذلك يجعل المعنى أوقع في النّفس و الصورة أقدر على إحداث الاستجابة المناسبة ، و ذلك لأنّ الشّيء إذا كان مخفيا مستورا – و كذلك هي الصورة الكنائية – و نيل بُعْد المطلب له أو الاشتياق إليه و معاناة الحنين نحوه ، كان نيله أحلى ،

و بالميزة أوفى ، فكان موقعه من النّفس أجلّ و ألطف ، و كانت بـه أضـنّ و أشغف . و من هنا فإنّ الصورة الكنائية ترفع من قيمة المعنى البعيـد الـذي الذي تشير إليه في نظر المتلقّي و تعمل على توكيده في نفسه و الاعتـزاز بـه و تفخيمه ، و قد أشار إلى هذا الإمام عبد القاهر الجرجاني حينما قال :"و بما أنّ الصفة إذا لم تأتك مصرّحا بذكرها ، مكشوفا عن وجهها ، و لكن مدلولا عليها بغيرها ، كان ذلك أفخم لشأنها ، و ألطف لمكانها ، كذلك إثبات الصفة للشّيء تثبتها له إذا لم تلقه إلى السامع صريحا وجئت إليه من جانب التّعـريض و الكناية و الرّمز و الإشارة ، كان له من الفضل و المزيّـة و مـن الحـسن و الرّونق ما لا يقلّ قليله ، و لا يجهل موضوع الفضيلة فيه"[1] .

و هذا التّلميح كثيرا ما نجده في الأمثال العربية ، وقد أوردنا ه فيما سبق .

- التّجسيم :

للصورة الكنائية ما للصورة التشبيهية و الاستعارية من الأثر من حثي قـدرتُها على تجسيم المعاني و غخراجها صورا محسوسة تزخـر بالحيـاة و الحركـة ، و بذلك تكشف عن معانيها ، و توضّحها و تبيّنها و تبهر العيـون منظـرا ، و تحدث انفعال الإعجاب ، لأنّ أنس النّفس بالمدركات الحسّية أعظـم مـن أنسها بالمدركات المعنوية ، و ذلك لأنّ الحسّ هو الطريق الأول لإدراك النفس و معرفتها .

[1] الجرجاني دلائل الإعجاز ، ص 236 ــ 237 .

و من أمثلة ذلك قول المثل العربي :" "يقلّب كفّيه" ، صورة كنائية عن صفة و هي النّدم ؛ إذ صورة تقليب الكفين فيها تجسيم لحالة الإنسان النادم على ما فعل ، و لولا هذا التّجسيم بهذه الصورة لم نستطع معرفة حقيقة هذا الإنسان . و قولهم في الرّجل المتردّد:"يقدّم رجلا و يؤخّر أخرى" ، في هذه الحركة تجسيم لحالة هي في الأصل معنوية لم تُدرَكْ إلاّ بهذه الصورة الكنائية .

- التّسامي و التّرفّع :

إنّ طريقة التّعبير عن المعاني التي قد يكون فيها من الفحش و البذاءة و الاستهجان تتمّ باللّجوء إلى الكناية ، و يرجع ذلك لاعتبارات نفسية ، بعضها يعود إلى المتكلّم نفسه كأن يكون ذا منزلة رفيعة لا يليق به أن يجري بعض الألفاظ البذيئة على لسانه ، أو أنّ هناك من السامعين من ذوي الفطر السّليمة ممن تمجّ أذواقهم كلّ ما هو فاحش خسيس ، و ينبغي أن يحدثوا بما تقبل نفوسهم ، و بما لا يحْسن موقعه من الكلام .

و لكلّ ذلك كانت الكناية و لعلّها الأسلوب الوحيد من بين أساليب البيان التي تيسر للمرء أن يقول كلّ شيء ، و أن يعبّر بالرّمز و الإيحاء عن كلّ ما يجول بخاطره مع التّسامي و التّرفّع بالنّفس عن كلّ قول يكون باعثه الاشمئزاز ، و لا يرضي الأذواق الطيّبة التي تأبى سماع اللّفظ الخسيس و العبارة المستهجنة ، و تميل إلى كلّ كلام فيه ما تشعر بالغبطة و المتعة و التّرف نتيجته .

و أمثلة هذا كثيرة في الأمثال العربية منها قولهم :"جاء بقرني حمار" صورة كنائية عن صفة ذميمة و هي الطّمع ، فقد تفادى صاحب المثل اللّجوء إلى التجريح ،

و تسامى عنه ليُعبّر عن هذه الصّفة بجميل الألفاظ ، و مثل ذلك ظاهر في قولهم :"جرحه حيث لا يضع الرّاقي أنفه" قالته جَنْدَلة بنت الحارث ، و كانت تحت حنظلة بن مالك و هي عذراء . و كان حنظلة شيخا ، فخرجت في ليلة مطيرة فَبَصُرَ بها رجل فوثب عليها و افتضّها ، فصاحت ، فقال لها رجل : مالك؟ فقالت : لُسعْتُ ، قال : أين؟ قالت : حيث لا يضع الرّاقي أنْفَهُ ، الصورة الكنائية عن الموضع التي أشارت إليه المرأة قُدّمت بطريقة مهذّبة خاصة و أنّها تُخاطب رَجُلا .

الخاتمة

إنّ في هذه الدراسة كثيرا من الجديد الذي أضيف إلى الدراسات الأدبية خاصة تقصّي المواطن الفنية و الجمالية التي ترسمها الصورة البيانية في الأمثال العربية ، و أهم ما خلصتُ إليه يتمثّل فيما يلي :

أولا : كانت الصورة التّشبيهية أكثر من بقية الصور البيانية في الأمثال العربية ، و قد غلبت الصورة التّشبيهية القائمة على التشبيه التّمثيلي و التشبيه المؤكد و المرسل و المجمل و المفصّل و البليغ سائر صوره التشبيهية الأخرى القائمة على تشبيه التسوية و الجمع و التشبيه الملفوف والمفروق و التشبيه المعكوس و المجرّد .

ثانيا : طغت الصورة الاستعارية المبنية على الاستعارة التمثيلية على بقية الصور الاستعارية الأخرى ، و يلمس قارئ الأمثال كثافة هذا النوع لطبيعة العلاقة التي تجمع بينهما ؛ إذ أنّ الصورة الاستعارية التمثيلية إذا كثُر استعمالها أصبحت مثلا .

ثالثا : المثل العربي في الغالب يعتمد على الصورة الكنائية إذ لا يكاد يخلو مثل من الأمثال منها وهي ترد إما منبثقة من صورة تشبيهية أو استعارية ، و إما ترتكز على مُهاد حسي يشي بها ، و تبدو في هذه الحالة

ذات كيان خاص بها ، و قد بُنيت الأمثال على صور كنائية مستقاة من معطيات عصرها ، و عكست البيئة العربية القديمة .

رابعا: لقد كان الاهتمام بالأمثال العربية فقط من الوجهتين التاريخية و التحليلية بغية اكتشاف كلّ المعالم التي تحيط بالإنسان العربي ، غير أنّ هذه الدراسة اقتربت من الأمثال العربية من الوجهة البلاغية خاصة البيانية منها.

خامسا : في الأمثال العربية فضاءات فسيحة للدراسات اللّغوية و البلاغية ، بما يتوافر لها من خصائص أسلوبية ، لا توجد إلاّ فيها و في الشّعر العربي القديم كتعدّد الرّوايات و الإيجاز الشّديد الذي يدلّ على بلاغة الإنسان العربي و فصاحته .

هذه الخصائص التي لم يول الباحثون المعاصرون اهتماما بها ، جاء هذا البحث ليفتح فيها بابا ، يمكن أن يلج داخله من يريد أن يتعرّف على الأداء البياني الذي يصنعه قائل المثل .

سادسا : الصورة البيانية التي يتشكّل عليها المثل العربي هي التي تساهم – و بقدر كبير – في تقريب المعنى و تبسيطه للقارئ خاصّة و أن البعض منها يعتمد على الغريب من الألفاظ .

سابعا : أكثر ما تمثّل به العرب الأشخاص و البهائم و قد اختاروها ليبنوا عليها صورهم ؛ فتمثّلوا من الأشخاص بحاتم و كعب بن مامة في الكرم و بشولة في النّصح ، و بالسّموءل في الوفاء ، و بسحبان وائل في الفصاحة و بقس بن ساعدة الإيادي في الخطابة ، و بعمرو بن معدي كَرِب في الشجاعة ، و بلقمان في الحكمة ، و بإياس في الذّكاء. و اشتهر آخرون بصفات ذميمة فجرى التشبيه بهم مثل تشبيه العِيّ بباقل ، و الأحمق بهبنّقة (و هو لقب أبي الوَدَعات يزيد بن ثَرْوان)[1]، والنادم بالكُسَعي(و هو غامد بن الحارث)[2]، و البخيل بمادر(و هو رجل اسمه مخارق)[3] ،والكذب بجحينة ، و الكفر بهرمز .

و من الحيوان تمثّلوا بالذّئب في النّشاط ، و بالفهد و الغزال في النوم و بالفهد في الكسب ، و بالقشّة في الفطانة .

ثامنا : إنّ الأمثال العربية المدروسة تُظهر فصاحة و بلاغة الإنسان العربي ، و قدرته على رسم معالم بيئته شاملة و قيّمه بطريقة فنّية ، و بأسلوب غاية في الجمال و الإيجاز ، حتى أنّ المثل يفرض نفسه على القارئ المعاصر رغم المسافة الزمنية التي تفصل بينهما .

---

[1] الإحاطة في علوم البلاغة ص : 135 .

[2] الإحاطة في علوم البلاغة ص : 135 .

[3] نفسه ص : 136 .

و رُبّما كانت هناك جوانب أخرى تستحقّ البحث ، بيد أنّ ما ذكرتــه يفتح المجال للتّوسّع و التّعمّق في الدراسة ، و النهوض بدراسات جادّة سواء كانت جامعية أم غير جامعية .

و الله الموفّق للسَّداد .

قائمة المصادر

❖ القرآن الكريم برواية حفص.

1 – ابن أبي الحديد

"الفلك الدائر على المثل السائر (مع المثل السائر)" ، تحقيق أحمد الحوفي و بدوي طبانة ، نهضة مصر ، القـــاهرة 1962 .

2– ابن الأثير

"المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر" ، تحقيق أحمد الحوفي و بدوي طبانة ، نهضة مصر ، القـــاهرة 1959 – 1962 .

3 ــ الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)

"البيان و التّبيين" ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط2 ، 2003 .

"الحيوان" ، تحقيق عبد السلام هارون ، الخانجي ، القاهرة 1965 .

"رسائل الجاحظ" ، تحقيق عبد السّلام هارون ، الخانجي ، القاهرة 1965.

4 – الجرجاني (علي بن عبد العزيز)

"الوساطة بين المتنبي و خصومه" ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم و علي البجاوي ، عيسى الحلبي ، القـــاهرة (د . ت) .

5 ــ الجرجاني (عبد القاهر)

"كتاب أسرار البلاغة" ، دراسة و تحقيق د . علي رمضان الجربي ج1 ، ج2 منشورات ELGA فاليتـــا ــ مالطا 2001 .

"دلائل الإعجاز" ، تصحيح السيد محمد رشيد رضا ، مكتبة القاهرة ، 1961 .

6 ــ ابن جعفر (قدامة)

"نقد الشّعر" ، تحقيق س . أ . بونيباكر ، مطبعة بريل ، لندن 1956 .

7 ــ ابن جنّي

"الخصائص" ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الكتب المصرية ، القاهرة 1953 -1956 .

8- أبو حيان التوحيدي

"الإمتاع و المؤانسة" ، تحقيق أحمد أمين و أحمد الزين ، دار مكتبة الحياة بيروت ، (د – ت) .

9 ــ ابن رشيق (المسيلي)

"العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده" ، تحقيق د عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت 2004 .

10- الزّمخشري (أبو القاسم جار اللّه محمّد بن عمر بن محمّد)

"تفسير الكشاف" ، رتّبه و ضبطه و صحّحه محمّد عبد السّلام ثاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط2 ، 2003 .

11- السكاكي (أبو يعقوب)

"مفتاح العلوم" ، الحلبي ، القاهرة 1938 .

12 ــ ابن السّكيت

"الحروف التي يتكلّم بها في غير موضعها(ضمن ثلاثة كتب في الحروف) ، تحقيق د . رمضان عبد التواب ، ط1 ، مكتبة الخانجي بالقاهرة و دار الرفاعي بالرّياض 1982 .

13 ــ ابن سنان

"سر الفصاحة" ، تحقيق عبد المتعال الصعيدي ، مكتبة صبيح ، القاهرة 1969 .

14 ــ السيوطي

"المزهر في علوم اللّغة ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم و آخرين ، عيسى الحلبي ، القاهرة (د – ت) .

15 ــ ابن عبد ربّه (أحمد)

"العقد الفريد" ج1 ، تحقيق محمّد عبد القادر شاهين ، المكتبة العصرية ، صيدا ــ بيروت ، 2004 .

16- العسكري (أبو هلال حسن بن عبد اللّه)

"كتاب الصناعتين" ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم و علي البجاوي ، عيسى الحلبي ، القاهرة 1952 .

"جمهرة الأمثال" ،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم و عبد المجيد قطامش ، المؤسسة العربية الحديثة ، 1964 .

17 ــ العلوي (يحي بن حمزة)

"الطراز المتضمّن لأسرار البلاغة و علوم حقائق الإعجاز ، مطبعة المقتطف ، القاهرة ، 1914 .

18 ــ ابن فارس (أحمد)

"الصاحبي في فقه اللّغة" ، المكتبة السلفية ، القاهرة 1910 .

19- الفيروزابادي

"القاموس المحيط" ، ط مصطفى الحلبي .

20 ــ ابن قتيبة

"تأويل مشكل القرآن" ، تحقيق أحمد صقر ، عيسى الحلبي ، القاهرة 1373 هـ .

21- القزويني (الخطيب)

الإيضاحُ في علوم البلاغة" ، تحقيق د- عبد الحميد هنداوي ، مؤسسة المختار للنشر و التّوزيع ، القاهرة ، ط2 ، 2004 .

22 ــ المبرّد (أبو العباس محمد بن يزيد)

"الكامل" حقّقه و علّق عليه و صنع فهارسه د . محمد أحمد الدّالي ، مؤسسة الرّسالة ، بيروت ، ط2 ، 1997 .

23 ــ امرؤ القيس

"الديوان" ، شرح و تقديم غريد الشيخ ،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، ط2 ، بيروت 2000.

24 ــ - ابن منظور

"لسان العرب" ، ط دار المعارف .

25 ــ الميداني (أبو الفضل)

"مجمع الأمثال" ج1 ، ج2 ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، صيدا ــ بيروت ، 2003 .

26 ــ ابن ناقيا

"الجمان في تشبيهات القرآن" ، تحقيق أحمد مطلوب و خديجة الحديثي ، وزارة الثقافة و الإعلام ، بغداد 1968 .

27 ــ - النابغة الذبياني

"ديوان"، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار بيروت للطباعة و النشر ، بيروت ط1 1980 .

قائمة المراجع

1- ابن عبد الله شعيب(أحمد)

"بحوث منهجية في علوم البلاغة العربية دروس و دراسات" ، ابن خلدون للنّشر و التّوزيع ، 2004 .

2- أبو فاضل (ربيعة)

"جولة في بلاغة العرب و أدبهم" ، دار الجيل ، بيروت ، 1988 .

3- أحمد الهاشمي (السّيّد)

"جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع" ، ضبط و تدقيق و توثيق د . يوسف الصميلي ، المكتبة العصرية للطباعة و النّشر ، صيدا ــ بيروت ، 2003 .

"جواهر الأدب في أدبيات و إنشاء لغة العرب" ، دار الفكر للطباعة و النّشر و التّوزيع ، بيروت ، ج1 ، ط1 ، 2005 .

4- أحمد عبد العال الطّهطاوي (علي)

"عَوْنُ الجنان في شرح الأمثال في القرآن"، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 2004 .

5- آرنولد (هوسر)

" فلسفة تاريخ الفن" ، ترجمة رمزي عبده جرجس ، الهيئة العامة للكتب و الأجهزة العلمية ، مطبعة جامعة القاهرة ، سنة 1968 .

6 - أ . أ ريتشاردز

"مبادئ النقد الأدبي" ، ترجمة و تقديم د . مصطفى بدوي طبانة ، مراجعة د . لويس عوض ، مطبعة مصر ، القاهرة ، 1963.

7- بكر إسماعيل (محمد)

"الأمثال القرآنية دراسة تحليلية" ، دار المنار ، القاهرة ، ط1 ، 2000 .

8- التفتازي (سعد الدين)

"مختصر السعد شرح تلخيص كتاب مفتاح العلوم" ، تحقيق د . عبد الحميد هنداوي المكتبة العصرية ، صـــيدا ــ بيروت ، ط1 ، 2003 .

9-جابر فياض العلواني (محمد)

"الأمثال في الحديث النبوي الشريف"، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، الرياض ، ط1 ، 1993 .

"الأمثال في القرآن الكريم" ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي و المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، الرياض ، ط1 ،1993 ، ط2 ، 1995 .

"الكناية "، مجلة المجمع العلمي العراقي ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، 1986 .

10- الحنصالي (سعيد)

"الاستعارات و الشعر العربي الحديث" ، دار توبقال للنشر ، ط1 ، المغرب ، 2005 .

11- حفني (شرف)

"التصوير البياني" ، مكتبة الشباب ، ط2 ، القاهرة ، 1973 .

12- الزركشي (بدر الدين)

"البرهان في علوم القرآن" ، ط الكلية الأزهرية . (د . ت) .

13- سعد محمد الجبار (مدحت)

"الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي" ، الدار العربية للكتاب ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، (د . ت) .

14- شرف الدين (الحسين)

"التّبيان في البيان" دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 2004 .

"علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان" ، مؤسسة المختار للنشر و التّوزيع ، القاهرة ، ط2 ، 2004 .

15- شريفي (عبد اللطيف) ، دراقي(زبير)

"الإحاطة في علوم البلاغة" ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط1 ، 2004 .

16 - شفيع (السيد)

" التعبير البياني ، رؤية بلاغية و نقدية " ، دار غريب للطباعة، القاهرة ، 1977.

17 - الصادق عفيفي (محمد)

"النقد التطبيقي و الموازنات" ، مطابع الرجوي ، القاهرة ، 1978

18- عصفور جابر (أحمد)

"الصورة الفنّية في التّراث النّقدي و البلاغي عند العرب" ، دار الثقافة للطباعة و النشر ، بيروت ، ط1 ، 1973 .

19- عبد الفتاح فيود (بسيوني)

"دراسات بلاغية" ، مؤسسة المختار للنشر و التوزيع ، دار المعالم الثقافية للنشر و التوزيع الأحساء القاهرة ، ط1 1998 .

20- عابدين (عبد المجيد)

" الأمثال في النثر العربي القديم " ط ، القاهرة 1919.

21 - عزالدين (اسماعيل)

" الشعر العربي المعاصر" ، دار العودة ، و دار الثقافة ، ط3 ، بيروت، 1981 .

22- غالب (مصطفى)

"أخوان الصّفا" ، منشورات مكتبة الهلال ، بيروت ، 1979 .

23- قطامش (عبد المجيد)

"الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية" ، دار الفكر، دمشق ،ط1 ، 1988 .

24- المراغي (أحمد مصطفى)

"علوم البلاغة البيان و المعاني و البديع"، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، ط1 ، 2004 .

25- مطلوب (أحمد)

"الصورة في شعر الأخطل الصغير" ، دار الفكر للتوزيع ، عمّان ، 1985 .

"دراسات بلاغية و نقدية " ،دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1980.

26 – نصرَت (عبد الرحمن)

" الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث " ، مكتبة الأقصى ، عمّان 1976 .

27- الطرابلسي (إبراهيم بن علي الأحدب)

"فرائد اللآل في مجمع الأمثال" ، قدّم له و وضع فهارسه إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط1 ، 2004 .

28- وجدان (عبد الإله الصّائغ)

"الصورة البيانية في شعر عمر أبو ريشة" ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ط1 ، 1997 .

29- الوصيف (هلال الوصيف إبراهيم)

"التصوير البياني في شعر المتنبي" ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط1 ، 2006 .

المراجع الأجنبية

1 - (R . Levy) " EncycloPaedia Of Islam " , Vol , 3 , 40Lyden . London , 1208 – 38 (4 Vols and SyPlement

2 - Owen (Thomas) "Metaphor and Related Subjects "

3 - Eco(U) " Semiotics and Philosophy du Langage " ,Macmillan , 1984.

الرسائل الجامعية

1 - جليل رشيد (فالح)

"الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري"رسالة دكتوراه ، قسم اللغة العربية ، كليـــة الآداب ، جامعة بغداد ، 1987 .

"الصورة المجازية في شعر المتنبي"، رسالة دكتوراه ، قسم اللغة العربية ، كلية الآداب ، جامعة بغداد 1985 .

2– عبد الهادي محمود (محمد)

"الصورة الشعرية عند مدرسة الديوان" ، رسالة ماجستير،آداب ـــ القاهرة (د – ت).

3- مصطفاوي (عبد الجليل)

"صور البيان في تفسير الزّمخشري" ، رسالة قُدّمت لنيل شهادة دكتوراه الدولة في اللّغة ، إشـــراف د . الـــزبير دراقي ، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ، 2000 / 2001 .

المجلات

1- أحمد مومني (ماجد)

"من أدب الأمثال : من ثمار البلاغة" ، مجلّة الفيصل ، العدد241 ، ديسمبر 1996 .

2- جابر فياض العلواني (محمد)

ـــ مجلة المجمع العلمي العراقي ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، 1986 ،

3- الخليلي(جعفر)

"الأمثال العربية تعبير صادق لحكمة العرب و فلسفتهم و مرآة صافية لمدى بلاغتهم في أقوالهم " مقال ، مجلّة الدّارة ، العدد4 ، مارس 1985 .

4- عيد الصياصنة (مصطفى)

"المثل :أنوعه و خصائصه" مقال ، مجلّة الفيصل ، العدد 198 ، جولية 1993 .

5- نورمان (فريدمان)

"مقال الصورة الفنّية" ، ترجمة جابر أحمد عصفور ، مجلّة الأديب المعاصر العدد 16 سنة 1976 .

فهرس الموضوعات

المدخل

المثل لغة و اصطلاحا 1
أنواع المثل 8
بلاغة المثل 11

الفصل الأول

صور البيان في المثل العربي

صور البيان في المثل العربي 16
مفهوم الصورة 20
مفهوم البيان 24
أهمية الصورة و وظيفتها 25

الفصل الثاني

الصورة التشبيهية في المثل العربي

الصورة التشبيهية 29
الصورة التشبيهية باعتبار الأداة إلى مرسل و مؤكد 36
الصورة التشبيهية باعتبار الوجه إلى مجمل و مفصل 40
الصورة التشبيهية باعتبار الطرفين إلى تشبيه تسوية و جمع 43
الصورة التشبيهية باعتبار الطرفين إلى تشبيه ملفوف و مفروق 44
صورة التشبيه التمثيلي 47
صورة التشبيه المعكوس 57
صورة التشبيه المجرّد 60
صورة التشبيه البليغ 62
صورة التشبيه الضمني 64
أدوات التشبيه في الأمثال العربية 66
بلاغة الصورة التشبيهية 69

الفصل الثالث

الصورة الاستعارية في المثل العربي

الصورة الاستعارية 78
الصورة الاستعارية المطلقة 83

الصورة الاستعارية المجرّدة 84
الصورة الاستعارية المرشحة 86
الصورة الاستعارية التخييلية 87
الصورة الاستعارية التمثيلية 89
الصورة الاستعارية التناسبية 95
بلاغة الصورة الاستعارية 100

الفصل الرابع

الصورة الكنائية في المثل العربي

الصورة الكنائية 105
الصورة الكنائية باعتبار الصفة 110
الصورة الكنائية باعتبار الموصوف 113
الصورة الكنائية باعتبار النسبة 115
الصورة الكنائية باعتبار اللوازم 117
بلاغة الصورة الكنائية 122
الخاتمة 127
المصادر و المراجع 131
فهرس الموضوعات 141